الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
PEOPLE'S DEMOCRATIC REPUBLIC OF ALGERIA
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH
جامعة البليدة 2
UNIVERSITY OF BLIDA2
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية الأمير خالد الجزائري
قسم: علم الاجتماع والديمغرافيا

الميدان: االعلوم الاجتماعية
الشعبة: علم الاجتماع
التخصص: جذع مشترك علوم اجتماعية

مطبوعة بيداغوجية في مقياس

مدخل إلى الأنتروبولوجيا

الطور: ليسانس(LMD)
السنة: الأولى جذع مشترك
السداسي: الأول

إعداد الأستاذة: معروف أسماء
الرتبة : أستاذ محاضر ب

الموسم الجامعي: 2024-2025

قائمة المحتويات

المقدمة 3

المحاضرة الأولى: مفهوم الأنتربولوجيا 5

المحاضرة الثانية:أقسام الأنتربولوجيا 9

المحاضرة الثالثة: الأنتربولوجيا الإثنولوجيا الإثنوغرافيا 20

المحاضرة الرابعة: علاقة الأنتربولوجيا بالعلوم 24

المحاضرة الخامسة : تاريخ الأنتربولوجيا و نشأتها 30

المحاضرة السادسة: :التطبيقات الأنتربولوجية قبل النشأة 33

المحاضرة السابعة: الأنتربولوجيا في العصور الوسطى 37

المحاضرة الثامنة: الأنتروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية 40

المحاضرة التاسعة : النشأة الأكاديمية لعلم الأنتربولوجيا: 44

المحاضرة العاشرة :الأنتربولوجيا الحديثة: الموضوع و الهدف 49

المحاضرة الحادية عشر: التيارات الأنتربولوجية 55

المحاضرة الثانية عشر: التحقيق الميداني في الدراسة الأنتربولوجية 64

المحاضرة الثالثة عشر: مناهج البحث الأنثروبولوجي 72

المحاضرة الرابعة عشر: الدراسات الأنتروبولوجية في الجزائر قبل الإستقلال..... 76

الخاتمة 84

قائمة المراجع 85

المقدمة

علم الأنثروبولوجيا هو الدراسة الشاملة للإنسان، عبر الزمان والمكان، وفي جميع جوانبه البيولوجية والثقافية والاجتماعية. إنه علم يسعى إلى فهم ما يعنيه أن تكون إنسانًا، وكيف تطورت المجتمعات والثقافات المختلفة وتشكلت، وكيف يتفاعل الناس مع بعضهم البعض ومع بيئتهم.

هذه المطبوعة البيداغوجية الموسومة ب مدخل إلى الأنتربولوجيا هي في الحقيقة عبارة عن مجموعة من المحاضرات لمقياس مقرر لطلبة السنة الأولى ميدان العلوم الاجتماعية

و الجدير بالذكر أن هذا المقياس يرد ضمن وحدات التعليم الأساسية للسداسي الأول، حاولنا بحكم تخصصنا من جهة و تدريسينا لهذا المقياس لعدة مواسم جامعية من جهة أخرى أن نكون محاور هذه المطبوعة تماشيا مع البرنامج المقرر و في الأن نفسه مع الأبعاد الابستيمولوجية ذات الصلة بالأنتربولوجيا كتخصص علمي قائم بحد ذاته انطلاقا مما توفر من أبحاث و دراسات في الموضوع بغية التطرق لجملة من القضايا التي تنطوي عليها المادة

و قد جاءت هذه المطبوعة في شكل محاضرات، في المحاضرة الأولى حاولنا التعريف بعلم الأنتربولوجيا و تطرقنا إلى أهم أقسامه ليتبين أن علم الأنثروبولوجيا، بنظرته الشاملة والمتكاملة، يتجاوز الحدود الضيقة للتخصصات الأخرى، ليقدم لنا فهمًا أعمق للتفاعلات المعقدة بين البيولوجيا والثقافة، والفرد والمجتمع، والتاريخ والحاضر.

أما المحاضرة الثانية فخصصناها للوقوف على المصطلحات التي تطلق على هدا العلم وهي تختلف حسب المدارس الفكرية

في المحاضرة الثالثة اتضح أن الأنتربولوجيا في محاولتها لفهم الإنسان تلتقي مع العديد من فروع المعرفة العلمية الطبيعية و الإجتماعية و الإنسانية.

المحاضرة الرابعة و الخامسة و السادسة ارتأينا أن نخصصها لفهم التطور التاريخي لهذا العلم انطلاقا من الاسهامات الأولى للرحالة المسافرين و الفلاسفة الأوائل في مختلف الحضارات وصولا إلى ظهور الأنتربولوجيا العلمية التي تقوم أساسا على الدراسات الميدانية في محاولة لفهم ما هو كائن و ليس ما يجب

أن تكون عليه الثقافات و المجتمعات. و من دراسات للأخر المختلف البعيد إلى دراسة الأنا و من دراسة المجتمعات البدائية إلى دراسة لجميع المجتمعات بما فيها الأكثر حضارة و تطورا.

في المحاضرة السابعة و الثامنة خصصناها لأهم تقنيات و أدوات البحث الميداني و كذا مناهج البحث الأنتروبولوجي.

في المحاضرة التاسعة تطرقنا إلى أهم التيارات التي اسهمت في بلورة علم الأنتربولوجيا كالتيار التطوري والوظيفي و الإنتشاري وغيرها

في المحاضرة الأخيرة ركزنا على المعرفة الانتربولوجية في الجزائر محاوليين ضمن ذات السياق وفق منظور تحليلي نقدي مناقشة مسار تشكل هذه المعرفة و تبلورها بالوقوف على واقع الأنتربولوجيا في الجزائر عبر المواحل الكبرى التي رافقتها مع ابراز الأسس التي قامت عليها و مناقشة مدى اسهامات الأنا و الأخر في بعث فكر أنتربولوجي في الجزائر بعيدا عن الإيديولوجية و الذاتية.

المحاضرة الأولى: مفهوم الأنتربولوجيا

1. مفهوم الأنتربولوجيا:

قبل تعريف الأنتربولوجيا تجدر الإشارة إلى تعدد التعريفات و اختلافها وتشعبها و يرجع ذلك بالأساس إلى اتساع فروع و مجالات هذا المصطلح فضلا عن الشمولية التي يتميز بها و عليه فالتعريفات قد تتفق أحيانا و قد تختلف و تتداخل في أحيان أخرى.

1.1المفهوم اللغوي:

تعرف الأنتربولوجيا على أنها علم دراسة الإنسان فالكلمة اللاتينية Anthropologie تتكون من قسمين الأول أنتربوس Anthropos :بمعنى الإنسان و الثاني Logos لوجوس: بمعنى علم و بذلك يصبح معناها علم الإنسان[1].

2.1اصطلاحا:

من خلال الرجوع إلى الدراسات الأنتربولوجية نجد أن رجال هذا العلم قد أخدوا التعريف اللفظي لهدا العلم مأخد الجد و من هنا أصبح موضوع هذا العلم بحق هو دراسة الإنسان و أعماله أي الدراسة الشاملة للإنسان. فقد اعتبرت الأنتربولوجيا على أنها أكثر العلوم التي تدرس الإنسان و أعماله شمولا على الإطلاق.

و هناك عدة دلائل على هذا الشمول فالأنتربولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية و العلوم الإجتماعية فتركز اهتماماتها من ناحية على الإنسان من الناحية البيولوجية العضوية الفيزيولوجية وعلى سلوك الإنسان كعضو في مجتمع من ناحية أخرى.

ثم إن الانتربولوجي لا يقصر نفسه على دراسة أي مجموعة معينة من الناس أو أي حقبة من الحقب التاريخية بل هو يهتم بالأشكال الأولى للإنسان و سلوكه بنفس درجة اهتمامه بالأشكال المعاصرة إذ يدرس كلا من التطور البنائي للبشرية و نمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا.

[1] حسين فهيم، **قصة الانتروبولوجيا**. سلسلة عالم المعرفة، عدد 198، الكويت، 1986، ص 53.

كذلك يوجه الأنتربولوجي اهتماما خاصا إلى الدراسات المقارنة في سياق اهتمامه بالجماعات و الحضارات الإنسانية المعاصرة[1].

3.1 تعريف الأنتربولوجيا حسب بعض العلماء:

- حسب محمد الجوهري فإن "الأنتربولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان و أعماله شمولا على الإطلاق"[2].
- إنها الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان، وفق لمفهوم تايلور للأنتربولوجي[3]ا.
- و يعتبر سليم شاكر في قاموس الأنتربولوجيا على أنها "علم دراسة الإنسان طبيعيا و اجتماعيا و ثقافيا".
- و تعرف الأنتربولوجيا بأنها العلم الدي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم و أنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة و يقوم بأعمال متعددة و يسلك سلوكا محددا و هو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية و المعاصرة و يحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل و هو يعتبر علم متطورا يدرس الإنسان و سلوكه و أفعاله أي الدراسة المتكاملة للإنسان بما يحويه من جوانب سيكولوجية و بيولوجية و فسيولوجية و ثقافية و اجتماعية[4].
- ويعتبر كلود ليفي ستروس أن " الأنتروبولوجيا تهدف إلى معرفة كلية وشمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي. "
- ويعرفها Wesch Michael بأنها" الدراسة لكل الإنسانية في كل الأزمنة والأمكنة.
- و قد حددت مارغريت ميد طبيعة علم الأنتربولوجيا و أبعاده كالتالي:

"إننا نصف الخصائص الإنسانية للجنس البشري، البيولوجية و الثقافية كانساق مترابطة و متغيرة و ذلك عن طريق نمادج و مقاييس و مناهج متطورة كما نهتم أيضا بوصف النظم الإجتماعية و التكنولوجية و تحليلها إضافة إلى البحث في الإدراك العقلي للإنسان و ابتكاراته و معتقداته ووسائل اتصلاته و بصفة عامة نسعى

---

[1] حسين فهيم، **قصة الانتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص65.

[2] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنتروبولوجيا**، القاهرة، مصر، 1998، ص 90.

[3] حسين شحاتة سعفان، **علم الإنسان الأنتربولوجيا**، منشورات مكتبة العرفان، بيروت، 1966، ص 87.

[4] أحمد الخشاب، **دراسات انتروبولوجية**، دار المعارف، مصر، 1970، ص 76.

نحن الانتربولوجيين إلى تفسير نتائج دراساتنا و الربط بينها في إطار نظريات التطور أو ضمن مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر[1]".

خلاصة:

إن الأنتربولوجيا هي ليست بالعلم الوحيد الذي ينفرد بدراسة الإنسان فالأنتربولوجيا هي الدراسة المتكاملة للإنسان بما تحويه من جوانب بيولوجية فسيولوجية اجتماعية ثقافية، إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان و ما يتلقاه ضمن عملية التنشئة الإجتماعية و التعليم و مقارنة التنوع الهائل للجماعات الإنسانية و المجتمعات بوجه عام.

الأنتربولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان و يدرس أوجه التشابه و الإختلاف بينه و بين الكائنات الحية الأخرى من جهة و أوجه الشبه و الإختلاف بين الإنسان و أخيه الإنسان من جهة أخرى و في الوقت ذاته يدرس السلوك الإنساني ضمن الإطار الثقافي و الإجتماعي بوجه عام فهو يهتم بالإنسان ككائن يعيش ضمن جماعات و أجناس مختلفة و يدرس الناس في أحداثهم و أفعالهم الحياتية.

4.1 خصائص علم الأنتربولوجيا[2]:

1. الشمولية: حيث يدرس الانسان من جميع النواحي.
2. النسبية الثقافية أي محاولة فهم كل ثقافة بناءا على معاييرها الخاصة.
3. العمل الميداني: من خلال التواصل المباشر مع المجتمعات المدروسة.

5.1 أهمية الأنتربولوجيا:

1. فهم التنوع الثقافي: يساعد هذا العلم في فهم الاختلافات الثقافية و الاجتماعية.
2. تسليط الضوء على التطور البشري: يساهم في فهم كيف تطور الانسان عبر الزمن و كيف تفاعلت المجتمعات مع البيئات المختلفة.
3. تحليل العلاقات الاجتماعية: يساعد في دراسة هيكل و تفاعلات المجتمعات البشرية و كيف تتشكل الهويات الثقافية و الاجتماعية.

---

[1] أحمد الخشاب، **دراسات انتروبولوجية**، المرجع السابق، ص 56.

[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنتروبولوجيا في المجال النظري**، ط1، الإسكندرية، مصر، 1997، ص98.

4. حفظ التراث الثقافي من خلال تسجيل و دراسة العادات و التقاليد و الثقافات التي قد تكون عرضة للاندثار.

6.1أهداف دراسة الأنتربولوجيا[1]:

- وصف مظاهر الحياة البشرية و الحضارية وصفا دقيقا عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعات المدروسة و تسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملهم في حياتهم اليومية.
- تصنيف مظاهر الحياة البشرية و الحضارية بعد دراستها دراسة واقعية بغية الوصول إلى أنماط إنسانية عامة في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان.
- تحديد أصول التغيير الدي يحدث للإنسان و أسباب هذا التغير و عملياته بدقة علمية و ذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني و ربطه بالحاضر من خلال المقارنة و إيجاد عناصر التغير المختلفة.
- استنتاج المؤثرات و التوقعات اتجاه التغير المحتمل في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها و بالتطور و بالتالي امكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي اجريت عليها الدراسة.

من هنا كانت أهمية الدراسات الانتربولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية و إيجاد القواسم المشتركة بينهما بعيدا عن الأحكام المسبقة التي لا تستند إلى أية أصول علمية.

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنتروبولوجيا في المجال النظري**.، مرجع سابق، ص 102.

المحاضرة الثانية:أقسام الأنتربولوجيا:

للأنتربولوجيا تقسيمات و فروع متعددة أهمها الأنتربولوجيا الطبيعية و الأنتربولوجيا الإجتماعية و الثقافية

أولا : الأنتربولوجيا الفيزيقية :

هو مجال يهتم بالبحث و دراسة الإنسان من الناحية البيولوجية كالاهتمام بالخصائص التشريحية للنوع البشري، الصفات الجسمانية الداخلية و الخارجية للإنسان ككائن حي و تبدو أهمية هذا المجال في تحديد التباينات بين السلالات و تحديد الاختلافات الجسمانية بين الجماعات السكاننية كاختلاف لون البشرة و غيرها من الخصائص الفيزيولوجية التي تحدد طبيعة سكان كل منطقة و ارتباط تلك الاختلافات بالمناخ و التغدية ما يساعد على تصنيف السلالات البشرية تصنيفا علميا و مع تطور البحوث في مجال الأنتربولوجيا الطبيعية أصبحت تتقاطع مع تخصصات أخرى كعلم وظائف الاعضاء، علم الإحياء، العلوم الأركيولوجية و الحفريات[1].

وتعتبر نظرية التطور إحدى أهم النظريات التي يتم الاستناد إليها في هذا القسم، وهي نظرية تشير إلى أن الأجناس والأنواع تتطور وتتغير، ووفقا لهذه النظرية فإن جسم " الإنسان العاقل" قد تطور من أجناس بشرية أخرى، وقد خضع موضوع "التطور البيولوجي" للبحث العلمي بداية من القرن التاسع عشر على يد تشارلز داروين وألفرد والاس.

إن معرفة الكيفية التي تطور بها الإنسان من أسلافه، وعمليات التغير المستمرة على جسم الإنسان هي المبرر للغوص في خصائص هذا الإنسان وتتبعه إلى عصور ما قبل التاريخ البعيدة لمعرفة إن كانت هناك أنواع أخرى غير الإنسان العاقل، هذا الذي يتيح لنا معرفة كيف أصبح الإنسان تدريجيا مختلفا عن سائر المخلوقات، وكيف اكتسب السمات الجسمية التي تميزه اليوم[2].

---

[1] عزلز الطاهر، **محاضرات في مقياس اللأنتروبولوجيا الإحتماعية والثقافية**، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر، 2019، ص 32.

[2] بيار أرني، **إثنولوجيا التربية**، ترجمة عدنان الأمين، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1992، ص76.

يركز المتخصص في الأنثروبولوجيا الطبيعية اهتمامه على أشكال الحياة الأقرب إلى الإنسان (الرئيسات)، ولعل من شأن المقارنة بين الحياة القائمة والأشكال الحفرية أن تلقي الضوء على كثير من السمات البيولوجية ودلالاتها، ونجد اليوم اهتماما خاصا بدراسة السلوك البشري ، بما يمكن من إلقاء الضوء على كثير من جوانب الحياة الاجتماعية وعلى ظهور الثقافة ولعل من المباحث الهامة والحديثة نسبيا في الانثروبولوجيا البيولوجية هو دراسة العمليات التي تحدث بموجبها التغيرات البيولوجية في الإنسان، ولقد كانت إحدى المراحل المبكرة في دراسة هذا الموضوع هو تناول نمو الإنسان منذ الولادة إلى البلوغ، وتأثير البيئة على هذا النمو، أما المرحلة الأحدث فإنها تركز على دراسة الوراثة البشرية، أي ميكانيزمات الوراثة وأساليب تعديل الصفات الوراثية، وأساليب تكيف الكائنات البشرية بيولوجيا مع الظروف الجديدة[1].

[1] عبد الله عبد الغني غانم، **طرق البحث الأنتربولوجي**، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، مصر، 2004، ص89.

ثانيا الأنتربولوجيا الإجتماعية و الثقافية:

تعنى الأنتربولوجيا الإجتماعية بدراسة الانسان من حيث أبعاده الإجتماعية . فهي تهتم بالأنظمة و العلاقات و البناءات و المؤسسات و الأنشطة الإجتماعية سواء داخل المجتمع الواحد أو ضمن عدد من المجتمعات المتشابهة و التي خضعت لنفس المنطق الاجتماعي بغية تحديد ماهية البناءات الاجتماعية و مدى تأثيرها في النمط المعيشي للإنسان.

فالموضوع الأساسي للأنتربولوجيا الاجتماعية هو البناء الاجتماعي و مختلف النظم و الأنساق الاجتماعية التي تكونه و فيمايلي نورد بعض هذه الموضوعات[1]:

1-البناء الاجتماعي:

وهو من الموضوعات الأساسية في الأنتربولوجيا الاجتماعية و هو يشير إلى تلك المجموعة من الأطر التنظيمية التي تنتظم في إطارها العلاقات الانسانية التي تجمع بين الأفراد مجتمع ما أو التي تتعدى حدود المجتمع الواحد، ويشير البناء الإجتماعي إلى النظام الإجتماعي العام الذي يتكون من مجموعة من النظم الفرعية التي تشكل بدورها من مجموعة من الظواهر والعلاقات الإجتماعية[2].

يرى براون أن البناء الإجتماعي هو شبكة من العلاقات الإجتماعية الفعلية التي تقوم بين سائر الأشخاص في المجتمع لقد جعل براون من العلاقات الثنائية وحدات بناية أساسية (أي أجزاء أساسية من البناء الكلى

للمجتمع) كعلاقة الأب بالإبن مثلا، ولكن براون يحاول التفريق بين مصطلحي الإنسان كفرد والإنسان كشخص، فالإنسان كفرد هو ذلك الكائن العضوي البيولوجي عكس الإنسان كشخص الذي هو عبارة عن تلك المجموعة من العلاقات الإجتماعية التي يمارسها انطلاقا من أدواره المختلفة في المجتمع فالشخص مواطن وزوج وأب..

أما البناء الإجتماعي عند إيفانز بريتشارد: يعني تلك العلاقات التي تربط بين الجماعات والتي تتميز بدرجة عالية من الثبات والتركيب أي أنه يقصد استمرار الجماعات واستمرار أنماط العلاقات التي تربطها بغض

[1] عبد الله عبد الغني غانم، **طرق البحث الأنتربولوجي**، المرجع السابق، ص 76.

[2] حسين شحاتة سعفان، **علم الإنسان الأنتربولوجيا**، مرجع سابق، ص 120.

النظر عن الأفراد الذين يؤلفونها فالأفراد يولدون ويموتون بينما الجماعات كأطر تحتضن أنماط السلوك والعلاقات فباقية.

لذلك يختلف بريتشارد عن براون في عدم اعتباره بأن الأسرة هي وحدة بنائية (جزء أساسي) للبناء الكلي لأنها تتألف من علاقات بين أشخاص محدودي العدد (الأب والإبن مثلا) فتنتهي هذه العلاقات بموت أفراد هذه الأسرة أما الجماعات فباقية. ويرتبط مفهوم البناء الإجتماعي لكل من مفهموم النظام الإجتماعي والنسق الإجتماعي فإذا كان البناء الإجتماعي هو ذلك الكل المركب من أجزاء منتظمة حيث تمثل هذه الأجزاء مختلف أنماط السلوك والظواهر، أما النسق فهو كما يرى كونديالك Condillkذلك النظام الذي تتساند فيه مختلف الأجزاء بصورة متبادلة والتشابك والتفاعل الحاصل بين عدد من النظم والأجزاء.

البناء و الوظيفية: ويرتبط البناء في استقراره واستمراره بالوظائف التي تؤديها الأجزاء(النظم المكونة له، النظام السياسي و نظام القرابة، نظام العائلة....) فوظائف أجزاء البناء الإجتماعي منسب إلى الوظائف التي تؤديها أجزاء الكائن الحي لذلك كانت محاولة فهم البناء الإجتماعي من منطلق الوظيفية التي تؤديها النظم المختلفة وبتأثير واضح من الدراسات البيولوجية فالمدرسة الوظيفية تهتم بوظيفة النظم ضمن الواقع الإجتماعي دون الرجوع إلى الماضي ومحاولة تتبع تاريخ هذه النظم كما كان الحال خلال البدايات الأولى للأنتروبولوجيا وعلى العموم فإن وظائف النظم تتجلى في العلاقات والتفاعلات القائمة داخل هذه النظم والقائمة فيما بينها أيضا ومن خلال ذلك يمكن للبناء الكلي أن يبقى ويستمر[1].

2- نظام القرابة:

يمكن القول بأن القرابة تتحدد في أحد معانيها في ضوء العوامل البيولوجيا فالفرد يرتبط بأبيه وأمه بسبب مولده، وكذلك يرتبط الأب والأم بعضهما البعض بسبب معيشتهما المشتركة واشتراكهما في إنجاب الأطفال ونجد في النهاية أن أطفال نفس الوالدين يرتبطون بعضهم ببعض لانتمائهم جميعا إلى سلالة نفس الزوجين. إلا أن هذه العلاقة البيولوجية لا تحدد حتما طبيعة القرابة إذ يتضح لنا أن القرابة إن هي إلا ظاهرة سوسيولوجية، ترتبط بالظواهر البيولوجية ولكنها لا تتطابق معها بحال من الأحوال.

ويشير مصطلح القرابة إلى العلاقة الدموية بين جماعة إنسانية معينة تتصل فيما بينها إلى جد أو جدة أكبر إلا أن هناك بعض التعريفات لعلماء الأنتروبولوجيا منها تعريف ابن خلدون. الذي يرى أن رابطة القرابة هي

[1] حسين شحاتة سعفان، **علم الإنسان الأنتربولوجيا**، مرجع سابق، ص122.

طبيعة في البشر وقائمة على العصبية، والتي تعني أن الناس يتعاونون في دفع المضار بدافع لحمة القرابة الدموية وكلما كانت القرابة متصلة وقريبة كلما كانت قوية وشديدة وأدت إلى الإتحاد والإلتحام وكلما تباعدت القرابة كلما ضعفت هذه الرابطة.

وتعرف القرابة بأنها: صلة دموية متعددة المستويات يتعارف عليها الناس، تتدخل في صياغة الأنظمة الإجتماعية المختلفة بناء على طبيعة المجتمع القائم، فهي ذات نفوذ كبيرة في المجتمعات البدائية أو التقليدية، ويتقلص نفوذها في المجتمعات المتطورة أو المركبة، بسبب تقسيم العمل وتخصص الوظائف كما يترتب عليها العديد من المصالح منها التكافل الإجتماعي والميراث، وفي أعلى المستويات قيام الملك أو الدولة ووراثية سلطتها[1].

2.1تصنيف القرابة: يأخذ نظام القرابة عدة خطوط أو فئات متمايزة فيما بينها من حيث الأهمية والصلة والمكانة، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد تصفيات القرابة في مجموعة من النقاط نوردها كما يلي[2]:

1. علاقة القرابة والمصاهرة: وتشمل هذه الفئة على علاقات القرابة القائمة على رابطة الدم كعلاقة الأب بالإبن وأبن الإبن والجد وعلاقة الأم الإبن والبنت وما إلى ذلك، والنوع الثاني هو علاقة الزواج.
2. .العلاقات الأبوية والأموية: يشمل هذا المستوى من القرابة ، القرابة عن طريق الأب وعن طريق الأم، وهي تتضمن عددا من العناصر كالأباء والأجداد والأمهات والجدات والعمات والأعمام والخالات والأخوال، وهنا القرابة تكون مباشرة وغير مباشرة، القرابة المباشرة هم الذين لهم علاقة مباشرة بالشخص مثل الأب والجد والأم والجدة مع الأبناء، وغير المباشرين هم الأبعد كالأعمام والعمات وأبنائهم.

إلا أن هناك من يرى تصنيفا أخر لنظام القرابة بحيث يحدده في صنفين أساسيين هما:

- القرابة القائمة على أساس رابطة الدم مثل الأب والأخ والإبن،
- والقرابة القائمة على أساس رابطة المصاهرة مثل الزوج والزوجة وأب الزوج وأب الزوجة، ولهذين الفئتين من القرابة فروع ثانوية أو جانبية مثل الأعمام والعمات والأخوال والخالات.

---

[1] توينبي آرنولد: **تاريخ البشرية** ، ترجمة زيادة نيكولا، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981، ص 76.

[2] حسين شحاتة سعفان،**علم الإنسان الأنتربولوجيا**،مرجع سابق، ص122.

2.2 أسس التصنيف: من الملاحظ أن كل مجتمع قد اعتاد على مصطلحات القرابة في مجتمعه بحيث أن مصطلحات مثل: الأب والأم والإبن والبنت لا تعني دائما نفس المدلول عند جميع الشعوب، ، فكثير من مصطلحات القرابة تشير إلى فئات من القرابة، مثل مصطلحاتنا العم والعمة، الأخ والأخت وابن العم، والواقع أن نظم تصنيف القرابة تتباين تباين هائل من مجتمع إلى أخر.

وحصر "ألفرد كروبر" ثمانية من الأسس التي يتم تصنيف القرابة وفقا لها.

- الجيل؛
- العمر؛
- الأقارب (الخطيين)المباشرين والأقارب (غير المباشرين)؛
- الجنس؛
- نوع المتكلم (المخاطب)؛
- نوع القريب الذي يمثل همزة الوصل في القرابة؛
- القرابة الدموية وقرابة المصاهرة؛
- الفروق في المكانة أو الظروف المعيشية للشخص الذي تقوم علاقة القرابة من خلاله[1].

وعلى العموم فإن أهم أسس التصنيف القرابي تتمثل في ما يلي:

- الجيل: فهناك جيل الأجداد والأباء، وجيل الشخص وجيل أبنائه.
- الجنس: ويتم التعريف بين الأقارب تبعا للجنس (ذكر، وأنثى).
- المصاهرة: ويرتبط بطبيعة الزواج وبدرجة تقبل بعض الأصهار البعيدين نسبيا.
- خط النسب: حيث يتم التمييز بين التسلسل القرابي المباشر (الأباء والأبناء) والتسلسل القرابي غير المباشر (العم، أو الخال، أبناء وبنات العم أو الخال).

[1] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنتروبولوجيا** ، مرجع سابق، ص 87.

3.2 أنواع الجماعات القرابية:

نصادف في جميع المجتمعات الإنسانية جماعات يرتبط أعضاؤها بروابط القرابة، وهناك عدة أنواع من هذه الجماعات القرابية، نورد أهمها فيمايلي[1]:

1. الأسرة النووية: وهي عبارة عن جماعة تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين، ويشمل هذا النمط على جيلين (جيل الأباء وجيل الأبناء).
2. الأسرة النووية الممتدة: وهناك شكلان أساسيان للأسرة النووية الممتدة هما: الأسرة النووية التي يوجد فيها تعدد زوجات وهي تتكون من ذكر بالغ وزوجتين أو أكثر وأطفالهم ثم الأسرة النووية التي يوجد فيها تعدد أزواج وهي تتكون من أنثى بالغة وزوج أو أكثر وأطفالهم.
3. الأسرة المشتركة: تتكون الأسرة من أسرتين نوويتين أو أكثر ترتبط ببعضهما من خلال خط الأب أو خط الأم، أي من خلال علاقة الأب والإبن أو الأخ وأخ (وكذلك الأخ وأخته).
4. العشيرة: تتجاوز العشيرة عضوية الأسرة، على الرغم من أن العامل الحاسم في الإنتماء العائلي هو القرابة وحدها، وليس القرابة بالإضافة إلى السكن المشترك كما هي الحال الأسرة المشتركة، وتنقسم العشيرة إلى نوعين، العشيرة الأبوية وفيها ينتمي الفرد إلى عشرة أمه، والعشيرة الأمومية، ففيها تكون قرابة الفرد للعشيرة هي نفس قرابة أمه للعشيرة.

نظام الزواج: الزواج هو الرابطة المقدسة أو الشرعية التي تجمع بين الرجل والمرأة والتي يترتب عنها وظيفة الإنجاب ويتوقف عليها بقاء النوع البشري، ونستطيع القول أن تتبع النسب القرابي يكون عبر الروابط الزوجية المختلفة التي تؤدي إلى إنجاب السلف للخلف الذي يصبح عبر الزمن الأسرة والعشيرة والقبيلة والمجتمع، كما أن الطريق الشائع نحو بناء النواة الأولى لأي مجتمع (الأسرة)هو الزواج، أيا كان شكله ومن بين أشكاله نذكر[2]:

- الزواج الأحادي: يشير الزواج الأحادي Monogamy إلى زواج الرجل مع إمرأة واحدة.
- بتعدد الزوجات: يشير نظام تعدد الزوجات، Polygamyإلى معنى كثير من النساء وهو يعني وجود زوجتين فأكثر لزوج واحد سواء كن في بيت واحد أو بيوت متعددة.

---

[1] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص 98.

[2] حسين شحاتة سعفان،علم الإنسان الأنتربولوجيا،مرجع سابق، ص128.

- نظام تعدد الأزواج: يطلق على نظام تعدد الأزواج كلمة Polyandry وتعني "تعدد الرجال" بالنسبة لزوجة واحدة في أي نظام أسري (نادر الوجود).

النظام الإقتصادي: هو الإجراءات، التدابير المنظمة التي تتم بموجبها عمليات انتاج السلع والخدمات وتوزيعها واستهلاكها من قبل أفراد المجتمع وضمن إطار اجتماعي محدد أو هو جملة الوسائل المستخدمة والعادات والتقاليد والأفكار المتفاعلة ببعضها من أجل استغلال الموارد البيئية بهدف إشباع الحاجات الأساسية للإنسان. هو فن توفير الحياة الإقتصادية الأفضل للجميع بإيجاد طريقة مناسبة لتوزيع الثروة على جميع فئات المجتمع، وهو يتضمن جانب نظري يتمثل في إيديولوجية توزيع الثروة في المجتمع والتقسيم المتوازن لمصادر الثروة على أفراد المجتمع وفئاته، وجانب عملي يتمثل في التطبيق العملي للنظرية الإقتصادية، يضاف إليها كل الطرق الرياضية والحسابية والأدوات والوسائل والمؤسسات وغيرها من الوسائل التي من شأنها أن تساهم في توفير وإنتاج السلعة وتوزيعها وطريقة استهلاكها.

النظام السياسي: يرى 'الموند Almond أن النظام السياسي هو " ذلك النظام الذي يتضمن التدخلات المتواجدة في جميع المجتمعات والذي يقدم من خلالها الوظائف وذلك بواسطة استخدام القوة الإجبارية الشرعية أو التهديد باستخدامها"[1].

أما Botomar فيرى بأنه النظام الذي يختص بتوزيع القوة في المجتمع. ويمكننا تعريف النظام السياسي بأنه ذلك الكل من الأجهزة والمؤسسات والجماعات والأفراد الذين يهتمون بكل ما هو سياسي في المجتمع وكذلك طريقة التعبير عن هذا الإهتمام، كما يحدد طريقة مشاركة المواطنين في السلطة، وهو الأخر يتألف من جانب نظري وأخر عملي، فالجانب النظري يتعلق بالإيديولوجية التي تحدد شكل النظام السياسي وطبيعة علاقته بمختلف فروع النظام والموقف من القوى الداخلية والخارجية، وجانب عملي يتمثل في أجهزته التنفيذية وسياسته في الداخل والخارج وكل الجوانب التطبيقية للنظرية السياسية[2].

3-الثقافة : و هو موضوع الأنتربولوجيا الثقافية أساسا :

تعد الثقافة عاملا هاما في تصنيف المجتمعات وتمييز بعضها من بعض وذلك بالنظر لما تحمله مضمونات الثقافة من خصائص ودلالات عدة ذات أبعاد فردية واجتماعية وإنسانية أيضا. ولذلك تعددت

[1] حسين شحاتة سعفان، **علم الإنسان الأنتربولوجيا**، مرجع سابق، ص132.

[2]

تعاريف الثقافة ومفهوماتها منها ما أخذ بالجوانب المعنوية الفكرية أو الجوانب الموضوعية المادية أو بكليهما معا، باعتبار الثقافة، في إطارها العام، تمثل سيرورة المجتمع الإنساني وإبداعاته الفكرية والعلمية.

يرى " برونسلاو مالينوفسكي" في مقاله المشهور الذي كتبه في دائرة المعارف الإجتماعية عن الثقافة أن الإنسان :" هو كائن له شكله الفيزيقي وتراثه الإجتماعي، وسماته الثقافية، فإذا كانت الأنتروبولوجيا الفيزيقية تصنف الإنسان تبعا لبنائه العضوي وخصائصه الفيزيولوجية، وإذا كانت الأنتروبولوجيا السيكولوجية تهتم بالطبيعة الإنسانية، فإن االأنتروبولوجيا الثقافية تدرس الإنسان ككائن يعيش في ثقافة"[1].

كما يعرف مالينوفسكي الثقافة بأنها "ذلك الكل المتكامل الذي يتكون من الأدوات والسلع والخصائص البنائية لمختلف المجموعات الإجتماعية من الأفكار الإنسانية والحرف والمعتقدات والأعراف"[2].

ويعرف "تايلور" الثقافة بأنها الكل المركب الذي يشمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات (الممكنات) التي يكتسبها الفرد باعتباره عضوا في المجتمع.

شكل تعريف الباحث " تايلور " المنطلق الأساسي والرئيسي للعديد من الدراسات الثقافية حيث اعتمده الباحثون نصا مهما في تحديد ماهية الثقافة وتحديد عناصرها المعنوية والسلوكية فبالإضافة إلى قيمة التعريف فإنه يعود الفضل إلى تايلور في إدخال مصطلح الثقافة إلى اللغة الانجليزية مستلهما إياه من اللغة والثقافة الألمانية المنشأ الأول والأصلي للمفهوم.

وقد حدد كاليد كالكهون مفهوما للثقافة على النحو التالي[3]:

- نقصد بالثقافة جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ، بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة والعقلية واللاعقلية وغير العقلية، وهي موجودة في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة. يوضح لنا هذا التعريف تنوع السلوك البشري فندرك من خلاله أن لكل مجتمع إنساني ثقافته المميزة.

---

[1] DENYS CUCHE, **La notion de culture dans les sciences sociales**, Casbah edition, Alger, 1998, p167.

[2] DENYS CUCHE, **La notion de culture dans les sciences sociales**, Op cité, P58.

[3] DENYS CUCHE, **La notion de culture dans les sciences sociales**, Op cité, P55.

- ويعرفها "روبرت لوي" Lowie Robert "بأنها مجموع ما يحصل عليه الفرد من مجتمعه، أي المعتقدات والتقاليد والنماذج الفنية والعادات المتعلقة بالغذاء والحرف التي تصل إليه عن طريق فعاليته الإبداعية، بل كميراث من الماضي ينتقل بالتعليم العضوي أو المنظم.
- وهناك من يعرفها بأنها "طرق الحياة المختلفة الصادرة عن السلوك الإنساني وإنتاجه لمعايير وقيم ومعتقدات وفن وعلم وآثار ونظم وقوانين وقواعد ومثل، والثقافة بهذه الصورة ككل متكامل من الأفكار والمعايير وطرق كسب الرزق وتربية الأبناء والعمالة اليدوية التي تنقل عبر الأجيال المختلفة،

وللثقافة جانب ملموس وآخر غير ملموس. ويلجأ العلماء عند تحليل ثقافة إلى العناصر التي تتألف منها.

1.3 عناصر الثقافة ومكوناتها: تقسم الثقافة عادة حسب العناصر المكونة لها إلى ثقافة مادية وثقافة لامادية (روحية معنوية) فتشمل عناصر الثقافة اللامادية الفنون والأفكار والمعتقدات والعادات، كما تشمل عناصر الثقافة المادية الألات والمعدات والوسائل... وهذا التقسيم هو الذي يفصل بين لفظي ثقافة وحضارة لدى البعض (المدرسة الألمانية) إذ تتصل الثقافة بالجانب الروحي بينما تتصل الحضارة بالجانب المادي، عكس المدرسة الفرنسية التي مزجت بين اللفظيين حين ظهورهما، لتشيران (ثقافة وحضارة) إلى الجانبين معا.

ويلجأ الأنتروبولوجيون إلى تحليل الثقافة بحسب ما يشكلها من عناصر[1] حيث:

- السمة أو العنصر الثقافي: هي أصغر وحدة في الثقافة ليس ثمة ما هو أصغر منها
- النموذج أو النمط (المركب الثقافي): مجموعة من العناصر والسمات الثقافية المترابطة فيما بينها مثالك (قوس+سهم+ حقيبة)... والنموذج أو المركب هو مجموعة من الأفكار والفعاليات والأشياء المادية التي تتجمع بأسلوب منطقي، وتترابط بطريقة وظيفية بحيث لايمكن تمييزها باعتبارها أجزاء بل تبدو طراز عام متناسق.
- النظام: وهو عدد من النماذج والمركبات الثقافية المترابطة فيما بينها (مثال مركب ركوب الخيل + مركب مكان الصيد: نظام الصيد فكل نظام يتكون من أنماط. فإذا أخذنا الدين كنظام إجتماعي وجدنا نمط الصوم والحج والزكاة ..... وهذه الأنماط يتألف منها نظام دين ما، ويختلف عن الأنماط التي يتألف منها أي دين آخر. وترتبط النظم بعضها ببعض من خلال الأنساق الثقافية حيث يتشكل

[1] DENYS CUCHE. LA NOTION DE CULTURE DNS LES SCIENCES SOCIALES, ,Op cité, P59.

كل نسق من مجموعة من النظم التي يعتمد ويكمل بعضها البعض فنظام الصيد ونظام الزراعة ونظام التجارة تشكل النسق الإقتصادي، وأخيرا فإن الثقافة تشمل مختلف هذه النظم والأنساق ومكوناتها.

وتأسيسا على ذلك نستنتج أن :

- الثقافة: هي مجموع النظم والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع؛
- النظام: هو عدد من النماذج أو مركبات ثقافية مترابطة فيما بينها؛
- النموذج أو المركب: هو عدد من السمات الثقافية المترابطة فيما بينها؛
- السمة: هي عناصر أولية الا تنقسم إلى أقل منها[1].

2.3 خصائص الثقافة:

هناك اتفاق بين المهتمين بالثقافة حول بعض الخصائص [2]أهمها:

- الثقافة اجتماعية ومكتسبة: تكتسب من المجتمع عن طريق التعليم.
- إنسانية: أنها من سمات الإنسان دون غيره من الكائنات.
- انتقالية: تنتقل بين المجتمعات والأجيال.
- أفكار وأعمال فهناك جانب روحي فكري للثقافة وجانب مادي ملموس.
- متنوعة الشكل مختلفة المضمون: فلكل مجتمع لغة ودين وعادات لكن هناك اختلاف في طبيعة هذه العناصر بين المجتمعات.
- متغيرة: فالثقافة تتغير من خلال عمليات الإتصال والإحتكاك الثقافي وعمليات التعديل والتطور[3].

[1] DENYS CUCHE, **La notion de culture dans les sciences sociale**, Op cité, P56.

[2] GEERTZ, C, **The Interpretation of Cultures**, New York, Basic Books, 1973, p239.

[3] DENYS CUCHE, **La notion de culture dans les sciences sociale**, Op cité, P50.

المحاضرة الثالثة: الأنتربولوجيا الإثنولوجيا الإثنوغرافيا

مفهوم الاثنوغرافيا:

تشير كلمة اثنوغرافيا إلى عملية وصف عادات وتقاليد الشعوب، ظهر المصطلح لأول مرة عام 1772 عند المؤرخ الألماني شلاتزر و كانت تعني دراسة الشعوب بصفة مخصوصة. ولاحقا شاع استخدام المصطلح" في بعض الجامعات في بعض البلدان على غرار الاتحاد السوفياتي سابقا، وكانت تعني عندهم الاهتمام بدراسة التنظيم الاجتماعي للمجتمع البدائي مع التركيز على ما يحدث و يقع في هذه البيِئات من تحولات وتغيرات عندما يتم هيكلتها ئلى مجتمعات ودول جديدة، وما يصاحب ذلك من تأثيرات وتغيرات في الجانب الثقافي بشقيه المادي والمعنوي، وكذا الجانب الاجتماعي خصوصا فيما يتعلق ببروز الطبقات الاجتماعية، كما يهتمون بدراسة المشاكل المتصلة بالأعراق والانتماءات العشائرية والقومية للأقليات، وكذا مسار تطور المجتمعات الإنسانية من منظور ماركسي[1].

مفهوم الاثنولوجيا:

ظهر مصطح اثنولوجيا عام 1787 لذى الفرنسيين، وتحديدا ولأول مرة في كتاب شافان "Chavanne من خلال دراسة حول التربية الفكرية، والاثنولوجيا هي المعارف الموسوعيةُ التي يمكن أن تستخلصها من عمليات الوصف الاثنوغرافي، وِيمكننا القول أن الإثنولوجيا هي علم مقارن، أي يقوم الاثنولوجي بالمقارنة بين الثقافات، وللقيام بذلك غالبا ما يعتمد في ذلك على المرحلة الاثنوغرافية[2].

ومن أبرز الأهداف التي تسعى الإثنولوجيا للوصول إليها هو استخلاص قوانين قابلة للتعميم إلى حد بعيد حول العادات والتقاليد لذى الانسان عبر مختلف المجتمعات والثقافات، وعبر مراحل الزمن خصوصا في الزمن الحاضر حيث تقارب المجتمعات وتلاقي وتداخل الثقافات، وما انجر عنه من تغيرات اجتماعية وثقافية، كما تعمل الاثنولوجيا اعتمادا على مقاييس خاصة إلى تصنيف الثقافاث إلى أنماط أو أشكال أو إلى مجموعات.

---

[1] كوبان جان، **المسح الإتنولوجي الميداني**، ترجمة لاوند جهيدة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان 2007، ص 76.

[2] فتحية محمد إبراهيم، **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان**، دار المريخ، الرياض، السعودية، 1985 ، ص98.

قد يقع اللبس أحيانا بين مدلولي مصطلح الاثنولوجيا والاثنوغرافيا، ولتوضيح الفرق بينهما فتعتبر أن المرحلة الإثنوغرافية من الدراسة أو البحث الانثروبولوجي، ضرورِية بالنسبة للباحث عند قيامه باجراء دراسة أثنولوجية، حيث لا يمكنه الذهاب إلى مرحلة المقارنة والتحليل ما لم يقم بالمرحلة الأولى "المرحلة الإثنوغرافية أو الوصفية وهي تعتبر عمل وصفي وتدوين وتسجيل لعناصر الثقافة ومجريات الحياة وأساليب وطرائق العيش أي كل ما تحمله كلمة ثقافة من معنى و بالتالي فالإثنوغرافي تقتصر وظيفته على الوصف والتسجيل دون القيام بعملية المقارنة و التحليل ،ذلك أن هذه الوظيفةً من مهمة الاثنولوجي[1].

ومن معاني الإثنولوجيا أنها ذلك الفرع العلمي الذي يتتبع بالبحث الاصول الأولى للنوع الإنساني العاقل وتطوره حتى العصر الحاضر من خلال ما توفرٍ من معطيات و دلائل و إجراء المقارنة بينها كما يهتم بدراسة الشعوب و السلالات العرقية من خلال المعطيات التاريخية من زاوية المقارنة أيضا كما يركز علماء الاثنولوجيا على البحث في أصول الحضارات وكيفية تشكل ونشأة المناطق الثقافية، و طرائق هجرة الثقافة و انتشارها من منطقة إلى أخرى والسمات النوعية المميزة لكل من هذه الثقافات، كما يركز الإثنولوجي على دراسة عناصر ثقافة المجتمعات حيث يقوم بدراسة الدين و النظم السياسية و النظم الاجتماعية ، إضافة إلى العادات و التقاليد و المعارف، و الافكار و الفنون و المثل العليا وجملة الابتكارات.

العلاقة بين الأثنوغرافيا و الإثنولوجيا و الأنتربولوجيا:

بعد تعريف لكل من الاثنوغرافيا والاثنولوجيا والأنتروبولوجيا، فلا يتباذر الى الأذهان أنها ثلاث فروع علمية متباينة، فالأصح أنها ثلاث مراحل بحثية مخخالُت متتالية منطلقها اثنوغرافيا ثم محطة اثنولوجية وأخيرا بحثا أنتروبولوجيا استخداما للمراحل الثلاث. أنهامحطات بحثُية تشمل تصورات فكرية ورؤِية منهجية حول موضوع بحث واحد.

فالإثنوغرافيا كما سبق و أن أشرنا له هي جزء من علم الأناسة كفرع من فروع المعرفة الاجتماعية تختص بدراسة الجانب الاجتماعي و الثقافي للانسان بعيدا عن أبعاده البيولوجية أو العرقية أو السيكولوجية.

كما تعنى بدراسة الحياة الاجتماعية في المجتمعات البسيطة على مستوى السرد الوصفي فقط أي دون الاستدلال بأي نظرية اجتماعية لتحليل مختلف الأنشطة الاجتماعية و النظم و الأنساق الاجتماعية لذلك

[1] كوبان **جان، المسح الإتنولوجي الميداني**، مرجع سابق، ص 67..

فالباحث بتحصل على المعطيات الأولية عن المجتمع المبحوث بعد فترة زمنية معتبرة يكون قد عايش فيها هذا المجتمع

و بعد عملية جمع البيانات الأولية، يقوم الباحث بترتيبها و تصنيفها منهجيا دون تفسير أو مقارنة يتبن لنا أن الإثنوغرافيا تعتمد على السرد الوصفي بعيدا عن التحليل و التفسير و لذلك فإن ما يميزها هو اعتمادها على المونوغرافيا كأداة منهجية في دراستها التتبعية المسحية و التي تتطلب الإندماج ضمن الجماعات المبحوثة

و قد عرف العالم السويسري دو شافان De Chavane الإثنوغرافيا بأنها الدراسة الوصفية المقارنة للمجتمعات و الثقافات و تصنيف الشعوب و على هذا الأساس تدرس الانتربولوجيا الانسان في كل أبعاده العضوية المورفولوجية و التطورية و غيرها من الابعاد الفيزيقية و تدرس أيضا الأبعاد الاجتماعية و الثقافية و الدينية فهي علم أشمل و أوسع لا يكتفي فقط بالبعد الاجتماعي للانسان أما الإثنوغرافيا فهي جزء من الأنتربولوجيا العامة تكتفي فقط بالدراسة الوصفية.

ويعرفها ليفي ستروس بأنها علم من النوع الشكلي و التأملي يعمل على استعمال و توظيف الوصف لمجتمع معين لبناء الخطوط العامة لهذا المجتمع

اما الإثنولوجي فهو يهتم بدراسة ووصف الثقافات المختلفة عبر كل المناطق من خلال وصف السمات الثقافية للجماعات البشرية المختلفة فضلا عن بحثه في النظم السياسية و الاقتصادية و الدينية....

فاصطلاح الإثنوغرافيا يطلق على الوصف العام للثقافة أما اصطلاح اثنولوجيا فهو يجمع بين الدراسات المعنية بوصف الثقافة و المقارنة بينها و بين غيرها من الثقافات لأجل ذلك يكون هدف الإثنولوجي هو الوصول إلى قوانين عامة للعادات الانسانية و مختلف أشكال اتصال الحضارات و الثقافات المختلفة.

ومن خلال هذا المعنى الاصطلاحي يتضح أن الإثنولوجيا هي المجال المقابل للأنتربولوجيا الإجتماعية والثقافية.

و سياقا على ذلك تحوي الإثنولوجيا الدراسة المقارنة و التفسيرات للسلوكات الاجتماعية و الثقافية للمجتمعات البشرية فهي علم تأملي مقارنة مع الإثنوغرافيا العلم التطبيقي الميداني و المحدد.

و مع تطور العلوم و الاهتمامات البحثية أصبحت الإثنولوجيا تدرس الفرد في المجتمع و مدى ارتباط نمو الشخصية بالتراث الثقافي مما يجعلها تشكل مفترقا للطرق بين التاريخ علم الاجتماع و الفلسفة فهي تهتم بدراسة الأصول الأولى للثقافات على أسس مقارنة، و في ضوء نظريات و قواعد ثابتة لاستخلاص التعميمات و أوجه الاختلافات.

وبالتالي العلاقة بين هذه المصطلحات تتلخص فيما يلي:

- ✓ المحطة الأولى: الإثنوغرافيا :الرصد والشرح والوصف والتفسير.
- ✓ المحطة الثانية: الإثنولوجيا :التحليل والمقارنة والتصنيف.
- ✓ المحطة الثالثة: الأنثروبولوجيا :استنباط القواعد والقوانين والأنساق.

المحاضرة الرابعة: علاقة الأنتربولوجيا بالعلوم **الأخرى**

- **أولا:علاقة الأنتربولوجيا بالعلوم الإجتماعية و الانسانية:**

التعرف على العلاقة بين الأنتربولوجيا و العلوم الأخرى:

- علاقة الانتربولوجيا بالفلسفة
- علاقة الانتربولوجيا بعلم النفس
- علاقة الانتربولوجيا بعلم الاجتماع
- علاقة الأنتربولوجيا بالتاريخ
- علاقة الأنتربولوجيا بعلم الأثار

تمتد الأنتروبولوجيا لتربط خيوطها مع كثير من الفروع المعرفية، وهي ذات صلة وثيقة بكثير منها، فهي ترتبط بالتاريخ والسياسة والتربية والاقتصاد وغيرها، ولكننا اقتصرنا على بعض الفروع لبيان بعض أوجه الاعتماد المتبادل بين الأنتروبولوجيا وغيرها من العلوم وفروع المعرفة الأخرى.

علاقة الأنتروبولوجيا بالفلسفة:

إذا كانت الفلسفة أم العلوم كما كانت تسمى بالنظر إلى شمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية الإنسانية والفيزيائية ، فإن صلة الأنتروبولوجيا بها وثيقة جدا ولاسيما فيما يتعلق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة في زمان أو مكان محدد، وذلك لأن الزمان والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية لا يمكن إدراك مكوناتها إلا من خلال دراسة الفعل الإنساني الذي يسعى إلى البقاء والإستمرار. فدراسة أصل الإنسان ونشأته وحياته وسعيه إلى البقاء والخلود، وما ينجم عن ذلك من تطور وتغير مستمرين كلها تقع في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية ولاسيما تلك العلاقة الأولية بين طبيعة الإنسان وواقعه وما يطمح إليه من أهداف تؤمن سيرورة حياته[1].

إذا كانت الفلسفة كما يرى أرسطو هي علم المبادىء والأسباب الأولى غايتها البحث عن الحقيقة برمتها وبأكثر أساليب الفكر نظاما وتماسكا فإنها بهذا تشترك مع الأنثروبولوجيا في عملية البحث عن الحقيقة، وإن كانت وسيلة الوصول إلى الحقيقة في الفلسفة تختلف عنها في الأنثروبولوجيا ، ذلك أن البحث الأنثروبولوجي

[1] فتحية محمد إبراهيم، **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان**، مرجع سابق، ص 76.

يرمي إلى الوصول إلى حقائق ميدانية من خلال معايشة مجتمعات الدراسة أو الاعتماد على معلومات توفرها مصادر أخرى عكس الفلسفة التي تعتمد العقل، كما أن نظرة الإنسان إلى الكون والحياة والموت وتأملاته المختلفة في مختلف الأزمنة والأمكنة هو أحد الموضوعات العامة للأنثروبولوجيا التـــي ترمي إلى الكشف على مختلف أنماط التفكير والسلوك لدى الجماعات البشرية عبر الزمان والمكان.

علاقة الانتربولوجيا بعلم النفس:

يهتم علم النفس بدراسة الأفراد بوصفهم وحدات مستقلة قائمة بذاتها، وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض الجوانب مثل الدوافع والاتجاهات والذكاء والشخصية. .وغيرها، عكس الأنتروبولوجيا التي تهتم بالسلوك الجمعي ولا تركز اهتمامها على الأفراد.

وتعتبر الثقافة الموضوع الأساسي الذي تسعى الأنتروبولوجيا إلى فهمه، غير أن هذا الفهم غير متاح دائما من خلال تفسير الثقافة في ذاتها، لذلك نجد علماء الأنثروبولوجيا يرجعون إلى علم النفس من أجل فهم الظواهر الثقافية، ويرتبط هذا الاتجاه بالإثنولوجيا وهو اتجاه قديم ظهر في كتابات عدد كبير من علماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ممن كانوا يلجؤون إلى الاستبطان لمعرفة أصل الثقافة البدائية ونشأتها، وخاصة ما يتعلق بالدين والشعودة والسحر والأساطير، وفي هذا السياق كان مالينوفسكي[1] يرى أن الدين ينشأ في أوقات الأزمات التي تمتاز بشدة الانفعالات مثل حالات الوفاة، لذلك يصبح الدين بمثابة وسيلة للسيطرة على تلك الأزمات. أي أثر العادات والتقاليد والقيم والمعايير وأساليب التنشئة في تشكيل شخصيات الأفراد، وبالمقابل أثر الشخصية في الثقافة من خلال الأدوار التي يؤديها القادة وأصحاب " الكاريزما" في توجيه الثقافة السائدة، وذلك بما يتمتع به هؤلاء القادة من أفكار وأيديولوجيا وقوة. .الخ.

علاقة الانتربولوجيا بعلم الإجتماع:

إن علاقة الأنتربولوجيا بعلم الإجتماع هي علاقة جد وطيدة فهو أقرب العلوم للأنتربولوجيا، حيث استقلت الأنتربولوجيا حديثا جدا عن علم الإجتماع حيث كانت أحد فروعه و جزءا مهما منه.

[1] أحمد الخشاب، **دراسات أنتروبولوجية**، مرجع سابق، ص 87.

لكن علم الإجتماع أقدم كثيرا من الأنتربولوجيا الإجتماعية فقد بدأ على يد أوغست كونت في فرنسا و هربرت سبنسر في إنجلترا أما المؤسسان الاوائل للتراث البريطاني في الأنتربولوجيا الإجتماعية فهما مالينوفسكي و راد كليف براون فقد نهلا من أفكار علم اجتماع الفرنسيين في أواخر القرن التاسع عشر[1].

حاول بعض العلماء إقامة فروقات بين الأنتربولوجيا و علم الإجتماع و منهم فريزر بتأكيده على أن علم الإجتماع يدرس المجتمعات المتحضرة و أن الأنتربولوجيا في فرعها الموسوم بالأنتربولوجيا الإجتماعية تدرس الأشكال الأولية البسيطة و البدائية للمجتمعات الإنسانية لكن سيتضح فيما بعد أن الأنتربولوجيا ستهتم أيضا بدراسة المجتمعات المعاصرة[2].

إن التداخل بين الأنتربولوجيا و علم الإجتماع لا يظهر فقط من خلال المجالات و الموضوعات الدراسية كالثقافة و الحضارة، القرابة، الزواج، البناء الإجتماعي و غيرها من المواضيع و لكن الظاهر أيضا أن أغلبية السوسيولوجيين هم كذلك أنتروبولوجيون.

فالتفريق بين هذين العلمين لا يمكن أن يطرح لأن كلاهما يهتمان بدراسة المجتمع الإنساني و لكل مناهجه و تقنياته و مفاهيمه أي أنه ليس هناك تضاد.

و قد يظهر الإختلاف في طريقة التناول و المعالجة فمثلا تتناول الأنتربولوجيا موضوع الثقافة من حيث نشأتها و عكسها لنمط التفكير لذى جيل معين من البشر و هذا يعني تناول الثقافة في سياقها التاريخي على عكس معالجة علم الإجتماع لموضوع الثقافة فهو يدرسها كأداة تكيف الإنسان مع المحيط الإجتماعي ووظيفة لإشباع الحاجات الإنسانية المختلفة.

<u>علاقة الأنتربولوجيا بالتاريخ:</u>

إن دراسة الكائن الحي البشري بصفته كائن ثقافي و اجتماعي و تاريخي لا يمكن أن تتم إلا عن طريق فهم الأنتربولوجيا التحليلات التي قام بها علماء التاريخ و التي تتضمن مجموعة من الأحداث دات الصلة بالمجتمعات البشرية عامة و تمتد العلاقة بين التاريخ و الأنتربولوجيا في ظهور قسم الأنتربولوجيا التاريخية[3] و بالتالي فإن هناك تداخل كبير بين العلمين و منشأ ذلك هو اهتمام الأنتربولوجيين بوصف الأحداث

---

[1] حسين فهيم، **قصة الانتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص65.

[2] COPANS J., **Anthropologie et impérialisme**, Paris, Maspero, 1977.

[3] محمد مؤنس، **الحضارة– دراسة في أصول وعوامل قيامها**، عالم المعرفة، عدد كانون الثاني، الكويت، 1998، ص86.

والعوامل التاريخية التي تؤدي إلى تكوين و نشأة الظواهر الحضارية و رغم بروز بعض الاختلافات بين العلمين أبرزها اهتمام المؤرخيين بالأحداث التي تقع في الماضي و تتابع هده الأحداث أقل مما يهتمون باكتشاف الأنماط العامة لهذه الأحداث و استنباط القواعد و القوانين التي تميزها كما يفعل الأنتربولوجيين إلا أن التداخل واضح في كثير من النقاط منها أن الأنتربولوجي رغم اهتمامه بالحاضر في دراساته إلا أن تفسير هذا الحاضر لا يتم و لا يتوفر له دون الرجوع إلى العلاقات و التغيرات التاريخية التي صنعت هذا الحاضر كما أن التغيرات الاجتماعية التي يهتم بها الأنتربولوجي هي في الوقت نفسه مراحل تاريخية.

علاقة الأنتربولوجيا بعلم الأثار:

تركز الأركيولوجيا على دراسة الثقافة المادية للانسان التي تتعامل مع الأجسام الطبيعية التي خلقت أو استعملت ضمن مجموعة حية راهنة أو ماضية كمحاولة لفهم قيمها الثقافية من خلال دراسة مخلفاتها وآثارها و إعادة بناء تاريخي يرسم صورة الأشكال الثقافية الماضية وذلك بتتبع نموها وتطورها عبر الزمان ، وما يعثر عليه الباحث التاريخي من آثار يستفيد منها الباحث الأنتروبولوجي في وصف الثقافة القديمة وربطها بالبيئة الطبيعية التي وجدت فيها، ومن ثم معرفة وربط حضارة الإنسان الكلية عبر هذه المواد التي يجدها عالم الأثار بالجانب الإجتماعي والثقافي ، وقد يعد هذا ما دفع بالكثيرين إلى اعتبار علم الأثار تخصصا من تخصصات الأنتروبولوجيا[1].

كلا من الأركيولوجي والأنتروبولوجي شرح كيفية تكيف الإنسان مع بيئته و سيطرته على الطبيعة و تكوين ثقافته من خلال ما توفر لهما من معطيات. ومن هنا نستكشف العلاقة المتبادلة والفعالة بين الأنتروبولوجيا والأركيولوجيا.

ثانيا:علاقة الأنتربولوجيا بالعلوم الطبيعية:

تتمتع الأنثروبولوجيا، وخاصة فرعها المعروف باسم الأنثروبولوجيا الطبيعية أو البيولوجية، بعلاقة وثيقة بالعلوم الطبيعية. يمكن تلخيص هذه العلاقة في النقاط التالية[2]:

[1] حسين فهيم، **قصة الانتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص 98.

[2] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص 98.

- دراسة الإنسان ككائن حيوي: تهتم الأنثروبولوجيا الطبيعية بدراسة الإنسان من منظور بيولوجي، تمامًا كما تفعل العلوم الطبيعية مع الكائنات الحية الأخرى. وهي تبحث في أصول الإنسان وتطوره البيولوجي، وعلاقته بالرئيسيات الأخرى، والتنوع البيولوجي بين المجموعات البشرية.
- الاعتماد على المناهج العلمية: تعتمد الأنثروبولوجيا الطبيعية على المنهج العلمي في جمع البيانات وتحليلها واستخلاص النتائج. فهي تستخدم الملاحظة والتجريب والتحليل الإحصائي لدراسة الظواهر المتعلقة بالإنسان من الناحية البيولوجية.
- الاستفادة من فروع العلوم الطبيعية: تستفيد الأنثروبولوجيا الطبيعية بشكل كبير من فروع العلوم الطبيعية الأخرى مثل[1]:

✓ علم الأحياء :(Biology) لفهم العمليات الحيوية والوراثة والتطور.

✓ علم التشريح :(Anatomy) لدراسة التركيب الجسدي للإنسان.ذ

✓ علم وظائف الأعضاء :(Physiology) لفهم كيفية عمل أجهزة الجسم المختلفة.

✓ علم الوراثة :(Genetics) لدراسة الجينات ودورها في الاختلاف والتطور البشري.

✓ علم الحفريات :(Paleontology) لدراسة بقايا الكائنات الحية القديمة، بما في ذلك أسلاف الإنسان.

علم البيئة :(Ecology) لفهم تفاعل الإنسان مع بيئته وتأثيرها على تطوره.

✓ علم الرئيسيات :(Primatology) لدراسة الرئيسيات غير البشرية ومقارنتها بالإنسان.

مجالات بحث مشتركة: تتشارك الأنثروبولوجيا الطبيعية مع العلوم الطبيعية في العديد من مجالات البحث، مثل:

✓ التطور البشري: دراسة المراحل التي مر بها الإنسان في تطوره من أسلافه.

✓ علم الوراثة البشري: دراسة التنوع الجيني بين البشر وتوزيعه.

✓ التكيف البشري: دراسة كيفية تكيف الإنسان مع البيئات المختلفة.

✓ علم الأمراض القديمة :(Paleopathology) دراسة الأمراض التي أصابت الإنسان في العصور القديمة.

✓ علم الإنسان القديم :(Paleoanthropology) دراسة الأدلة الأحفورية للتطور البشري.

[1] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص 80.

- ✓ علم البيئة السلوكي البشري :(Human Behavioral Ecology) دراسة السلوك البشري من منظور تطوري وبيئي.

المحاضرة الخامسة : تاريخ الأنتربولوجيا و نشأتها:

هناك الأصول أو الجذور البعيدة لظهور هذا العلم و هناك الجذور القريبة و هناك أيضا السياق الذي ظهرت فيه الأنتربولوجيا.

الأصول البعيدة :

تتضمن ما يسمى بالممارسات الأنتربولوجية قبل ظهور علم الأنتربولوجيا و التي تعود بنا إلى إسهامات الفلاسفة و الرحالة المسافرين أمثال هيرودت و الذي يعتبره المؤرخون أب الأنتربولوجيا باعتبار أنه كان يصف الشعوب التي سافر إليها كالمصريين و سكان شمال إفريقيا.

كدلك سنعرض هنا ما كتبه الفلاسفة و الرحالة الغربيين و حتى المسلميين في مختلف الحضارات حينما وصفوا الشعوب التي زاروها فوصفوا عاداتهم، تقاليدهم و طريقة عيشهم.

الأصول القريبة:

أما عن الأصول القريبة لهذا العلم فهي مرتبطة أساسا بتلك التحولات الكبرى التي ظهرت أساسا في أوروبا بداية من القرن 18 حيث ظهرت حركة فكرية دعت إلى جعل الإنسان مصدرا للمعرفة و الكون و الحقيقة بعدما كانت هناك هيمنة مطلقة للكنيسة و اعتبرت نفسها مصدرا للمعرفة ليكون القرن 19 وبالضبط أواخر القرن 19 كما سنرى هو القرن الذي تطورت فيه ليس فقط الأنتربولوجيا بل العلوم الإجتماعية بصفة عامة.

في الأخير فقد تصادف ظهور و تطور علم الأنتربولوجيا و السياق الكلونيالي إذ أن هذا العلم في بداياته الأولى في القرن 19 أنتج خطابا برر الممارسات الإستعمارية، مصطلح المجتمعات البدائية المتوحشة المتخلفة و غيرها، الاخر المختلف البعيد الذي كان هو موضوع إنتاج المعرفة و الغربيون هم منتجوا المعرفة.

لكن الأنتربولوجيا أنتجت أيضا خطابا يدعو للتحرر وعرفت ثلاث قطيعات إبستمولوجية لخصها براهيم صالحي في مداخلة له في الملتقى الدولي الذي انعقد بوهران بعنوان أي مستقبل للأنتربولوجيا في الجزائر فيمايلي[1]:

القطيعة الأولى: قطيعة مع الدراسات التي كان يقوم بها الرحالة و المسافرون و الفلاسفة الأوائل، تطورت الأنتربولوجيا و أصبحت علما قائما بذاته يعتمد على الدراسات الحقلية باستخدام تقنية الملاحظة بالمشاركة لبرونيسلاو مالينوفسكي أي تم الانتقال من الأنتروبولوجيا العامة إلى الأنتربولوجيا العلمية.

القطيعة الثانية : هي قطيعة مع دراسة المجتمعات البدائية و التوجه نحو دراسة جميع المجتمعات حتى الأكثر حداثة و تعقيدا.

القطيعة الثالثة: هي قطيعة مع دراسة الأخر المختلف البعيد و التوجه نحو ما يسمى بالأنتروبولوجيا الأنا Anthropologie du soi meme

الأنتربولوجيا و دراسة المجتمعات البدائية:

لا يمكننا تجاهل حقيقة ضلوع نظرة الأنتربولوجيا مع السلطة المستعمرة لكن تلك النظرة مهما كانت محتقرة فإنها نظرة الأخر حسب فوزي عادل و هنالك دوما شيء من التمركز العرقي في طريقة اكتشاف الأخر و ادراكه و تعيينه و يكتسب هدا التمركز العرقي قوة إضافية بفعل صدوره عن حضارة مهيمنة يعميها الشعور بالقوة.

إذا كانت الأنتربولوجيا في بداياتها قد اهتمت بما هو بعيد بدائي و غريب فذلك يعود لكون الذين كانوا وراء ترقيتها اعتقدوا تحت تأثير ذلك التمركز العرقي أنهم وجدوا في المجتمعات التي درسوها شيئا من طفولة مجتمعاتهم الأصلية فقد كان تعقيد المؤسسات التي اهتموا بوصفها و تحليلها مصدرا لكثير من الدروس فيما يتعلق بتطور المجتمعات الغربية ذاتها[2].

---

[1] محمد براهيم صالحي، **الأنتربولوجيا و الأنتربولوجيا الدينية في الجزائر**، عناصر من أجل حوصلة معارف، ورقة بحث مقدمة ضمن أشغال الملتقى الدولي حول أي مستقبل للأنتربولوجيا في الجزائر ، المركز الوطني للبحث في الانتربولوجيا الاجتماعية و الثقافية، الجزائر، 2014، ص 230.

[2] بوحسون العربي، **الأنثروبولوجيا من علم الاستعمار إلى علم التنمية: قراءة في مسار التأسيس والتأخر في الجزائر**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة قاصدي مرباح – ورقلة، 2012، ص 65.

و بدلك فإن المعرفة المتراكمة حول الشعوب البعيدة تستخدم في دراسة شعوب الباحثيين أنفسهم كما تسمح بفتح أفاق جديدة لا تتوانى التيارات الحديثة في الأنتربولوجيا عن إستغلالها.

و بذلك تصبح مهمة الأنتربولوجيا اعلان حدادها على الغرائبية و تنمية الشعور بالاخرين بالمعنى الذي يشير اليه مارك أوجي بمعنى مسائلة الميكانيزمات الاجتماعية التي تنتج في كل مجتمع بما في ذلك المجتمعات الأكثر حداثة الهوية و التغاير.

المحاضرة السادسة: :التطبيقات الأنتربولوجية قبل النشأة

يجمع العلماء في علم الأنتربولوجيا على أنه علم حديث العهد إذا ما قيس ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة و الطب و الفلك و غيرها إلا أن البحث في شؤون الإنسان و المجتمعات الإنسانية قديم قدم الإنسان منذ أن وعى ذاته و بدأ يسعى للتفاعل الإيجابي مع بيئته الطبيعية و الإجتماعية، و لقد درج العلماء و الفلاسفة في كل مكان و زمان عبر التاريخ الإنساني على وضع نظريات عن طبيعة المجتمعات البشرية هذا وقد أسهمت الرحلات التجارية و الاستكشافية و أيضا الحروب في حدوث الاتصالات المختلفة بين الشعوب و المجتمعات البشرية حيث أتاحت معرفة كل منها بالأخر و لا سيما فيما يتعلق باللغة و التقاليد و القيم و لذلك فمن الصعوبة بمكان تحديد تاريخ معين لبداية الأنتربولوجيا.

1) في العصر القديم:

تعتبر الرحلة التي قام بها المصريون القدماء إلى بلاد بونت الصومال حاليا سنة 1493 قبل الميلاد بهدف التبادل التجاري من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب، و من نتائج الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام إفريقيا و إقامة علاقات معهم فيما بعد[1].

1-1عند الأغريق اليونانيون القدماء:

تعود جذور الأنتربولوجيا إلى الكتابات اليونانية القديمة التاريخية و الفلسفية حول الطبيعة البشرية و تنظيم المجتمع البشري و تعتبر الحضارة الإغريقية من بين أولى الحضارات التي اهتمت بدراسة الإنسان ووصف المجتمعات فقد قدم كل من أفلاطون و أرسطو و سترابون و غيرهم اسهامات واضحة في ميدان العلوم الإجتماعية و الأنتربولوجيا هذا على الرغم من الطابع الفلسفي لاسهاماتهم و الذي يناقض إلى حد ما ما تتجه إليه الدراسات الأنتربولوجية حاليا من دراسة ما هو قائم و لا ما يجب أن تكون عليه الأحوال الإجتماعية و الثقافية لكن فضل الفكر الفلسفي اليوناني و لاسيما عند كبار الفلاسفة لا يمكن التقليل من شأنه أبدا[2].

---

[1] النوري قيس، **فرص الأنتربولوجيا في حركة التطور العربي**، مجلة البحرين الثقافية، العدد 27، البحرين، يناير 2001، ص 98.

[2] حسين فهيم، **قصة الانتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص 36.

إذ يعتبر عيسى سماش[1] أن أفكار أرسطو تتوافق مع ما يسمى بالتيار التطوري فهو أول من قارن بين التطور البيولوجي للحيوانات و المجتمعات الإنسانية. كما ترجع إليه أولى التأملات حول تكوين الحكومات و تحليل مختلف أشكالها،

و قد حاول أفلاطون(428–347ق م) خاصة في كتابه "الجمهورية" أن يقدم صورة عن الكيفية التي " يجب" أن يكون عليها المجتمع، ذلك ما جعل أفكاره محل انتقاد كبير باعتبارها تأملات لما يجب أن يكون وليس تصويرا لما هو كائن، غير أن هذه الأفكار وإن كانت تعكس تصورات مثالية إلا أنها تستند إلى الواقع الذي كان يحياه أفلاطون، والأحداث والتغيرات السائدة في مجتمع أثينا، فالدافع لهذه التصورات هو تلك الأزمات السياسية والحروب واضطراب أحوال المجتمع آنذاك بصفة عامة.

إن المهتمين بالأنثروبولوجيا و إن أعطوا أهمية معتبرة لأفلاطون وأرسطو وغيرهما من الفلاسفة اليونان، فإنهم يقدمون المؤرخ " هيرودوت " (484 –425 ق.م) ويعتبرونه أول باحث أنتروبولوجي في التاريخ.

لقد قدم هيرودوت وخاصة في كتابه" التواريخ" معلومات وصفية دقيقة عن العديد من الشعوب غير الأوروبية، من خلال وصف عاداتها وتقاليدها وملامحها الجسمية وأصولها السلالية. .الخ، كما عمل على وصف الحرب التي دارت بين الفرس والإغريق خلال القرن السادس قبل الميلاد، ومن خلال رحلاته المتعددة وقراءاته الغزيرة استطاع هيرودوت أن يقدم معلومات عن حوالي خمسين شعبا وبأسلوب يزاوج بين الوصف والمقارنة.

يسهب هيرودوت في وصف مصر وعاداتها وتقاليدها مقارنا إياها بغيرها من البلاد، ويرجع هذا الإسهاب في وصف البلاد المصرية وشعبها إلى الأهمية التي تكتسيها هذه المنطقة من حيث المناخ ووجودها على ضفاف النيل، ذلك ما جعل شعبها مختلفا عن باقي الشعوب الأخرى.

كما عمد هيرودوت إلى وصف عادات أهل ليبيا وطريقة الأكل لديهم، كما تطرق أيضا إلى كيفية انتقال هذه العناصر والسمات الثقافية وتداولها بين الشعوب[2].

---

[1] عيسى السماش، **مدخل إلى علم الإنسان الأنتربولوجيا**، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 67.

[2] عيسى السماش، **مدخل إلى علم الإنسان الأنتربولوجيا**، المرجع السابق، ص 78.

إن الذي يعطي قيمة لعمل هيرودوت هو اقتراب طريقته المستندة إلى الوصف و المقارنة من الطريقة المتعارف عليها اليوم لذى الأنتروبولوجيين، والتي تستند إلى رصد الخصائص المختلفة للشعوب والأعراق بملاحظتها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر في سياق حقلي واقعي، ذلك الذي يقترب مما يعرف لذى الأنتروبولوجيين اليوم بالمنهج الإثنوغرافي الذي يسعى إلى تصوير حياة الشعوب وخصائصها الاجتماعية والثقافية من خلال الاتصال المباشر للباحث بها و أخذ المادة من حقل الدراسة بشكل مباشر.

فهو من الأوائل الدين استخدموا المنهج المقارن في دراسة الشعوب و هو أيضا كان يفضل الشهادات البصرية على الشهادات السمعية فكان يفضل الشاهد الدي رأى على الشاهد الذي سمع أو يعرف.

1-2عند الرومان:

على عكس اليونانيون فإن الرومان لم يأخدوا بالنمادج المثالية المجردة للحياة الإنسانية كما هو الحال عند الفلاسفة الإغريق، و لكنهم وجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس و المحسوس و على الرغم من ذلك لا يجد الأنترولوجيين في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصيلة في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب و ثقافاتهم أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات.

و لكن يمكن أن يستثنى من ذلك لوكرتيوس الذي كان أديبا و شاعرا و هو من الباحثيين في نظرية النشوء و الإرتقاء فقد احتوت قصيدته طبائع الأشياء على بعض الأفكار الإجتماعية الهامة فقد تناول موضوعات عدة عرضها في ستة أبواب رئيسية ضمنها أفكاره و نظرياته عن المادة و حركة الإجرام السماوية و شكلها و تكوين العالم و خصص الباب السادس لعرض فكرتي التطور و التقدم.

وقد رأى بعض الأنتربولوجيين أن في فكر لوكرتيوس ثمة تطابق مع فكر لويس هنري مورغان أحد اعلام الأنتربولوجيا القرن 19 و ذلك من حيث نظريته حول تقدم المجتمعات و انتقالها من مرحلة إلى أخرى[1].

هذا و يدرج البعض دراسة عن القبائل الجرمانية و التي كان قد أجراها المؤرخ الروماني تاكتوس بعنوان جرمانيا ففيها دراسة مقارنة لعادات الشعوب و تقاليدها و صفاتها الجسمية و العقلية و التي يمكن أن تصنف كدراسة أنتربولوجية ضمن التراث المعرفي المنتج عهد الحضارة الرومانية[2].

---

[1] حسين شحاتة سعفان، **علم الإنسان الأنتربولوجيا**، مرجع سابق، ص 89.

[2] حسين شحاتة سعفان، **علم الإنسان الأنتربولوجيا**، مرجع سابق، ص 98.

على الرغم من أن الرومان قد اهتموا بالواقع من حيث ربط السلالات البشرية بإمكانية التقدم الإجتماعي و الحركة الحضارية فقد وجدوا في أنفسهم إمتيازا و أفضليه على الشعوب الأخرى فكان الروماني فوق غيره حتى إن الرومان إذا أرادوا أن يرفعوا من قدر أحد أو شأن سلالة ما أصدرت الدولة قرارا بمنح الجنسية الرومانية لأي منها و يبدو أن هذا الإتجاه العنصري وجد في معظم الحضارات القديمة كالصينية.

1-3الحضارة الصينية:

يرى بعض المؤرخين أن الصينيون لم يعبأوا في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، وهذا نابع من نظرتهم العنصرية، إذ كانوا يعتقدون كالرومان أنهم أفضل الخلق، وأنه لا وجود لأية حضارة أو فصيلة خارج جنسهم.. بل كانوا يرون أنهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء... ولكي يؤكد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا " سور الصين العظيم" حتى لا تدنس أرضهم بأقدام الآخرين ولذلك اهتم فلاسفة الصين القدماء بالأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية من خلال الاتجاهات (الواقعية / العملية) في دراسة أمور الحياة الإنسانية ومعالجتها، لأن معرفة الأنماط السلوكية التي ترتبط بالبناء الإجتماعي في أي مجتمع، تسهم في تقديم الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع، والذي يكشف بالتالي عن طرائق التعامل فيما بينهم من جهة، ويحدد أفضل الطرق للتعامل معهم من جهة أخرى، وهذا ما يفيد الباحثين في العلوم الأخرى، لا سيما تلك التي تعنى بالإنسان[1].

[1] حسين شحاتة سعفان،**علم الإنسان الأنتربولوجيا**، مرجع سابق، ص 96.

المحاضرة السابعة: الأنتربولوجيا في العصور الوسطى :

أوروبا في العصور الوسطى:

مع نهاية القرن الخامس الميلاي تقريبا بدأت السلطة المركزية لروما في التدهور والإنهيار ودخلت أوروبا في مرحلة من ارتداء الفكر وسميت هذه الحقبة بالعصور الوسطى لأنها وقعت بين عهدين(الفلسفات الأوروبية القديمة في أثينا أو روما وعصر النهضة)، في هذه العصور الوسطى تدهور التفكير العقلاني وأدينت أية أفكار تخالف التعاليم المسيحية أو ما تقدمه الكنيسة من تفسيرات للكون وسيطرت الكنيسة سيطرة مطلقة على اتجاهات التفكير الإجتماعي، وتجدر الإشارة على أنه إلى جانب الكنيسة وما ارتبط بها من مؤسسات دينية ، كانت هناك مراكز أخرى وجهت أيضا منطلقات المعرفة وحددت طبيعتها خلال العصور الوسطى للحضارة الغربية كبلاط الملوك الذي كان يضم في العادة فئات من المثقفين كرجال الإدارة والسياسة والشعراء.

ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة عن بعض الشعوب اتسمت – غالبا– بالوصف التخيلي بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع مثال ذلك ما قام به الأسقف إزيدورIsidore حيث أعد في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية تتسم بالسطحية والتحيز فقد ذكر مثال أن قرب الشعوب او بعدها عن أوروبا يحدد درجة تقدمها فكلما كانت المسافة بعيدة، كلما كان الإنحطاط والتدهور الحضاري مؤكدا، ليس هذا فحسب بل إنه وصف أولئك الناس الذين يعيشون في أماكن نائية، بأنهم سلالات غريبة الخلقة حيث تبدو وجوههم بلا أنوف، وقد ظلت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن الثالث عشر، حين ظهرت موسوعة أخرى أعدها الفرنسي باتولومكوسBatolomacus والتي حظيت بشعبية كبيرة رغم أنها لم تختلف كثيرا عن سابقتها من حيث االإعتماد على الخيال[1].

على العموم فإن معظم التفسيرات التي قدمت في هذه الفترة كانت قائمة على التحيز العنصري والديني وسادت نظرية الإرتداد او الإنتكاس الحضاري، فالشعوب المسيحية الممتثلة لأمور الدين هي أرقى الشعوب أما بعض السلالات وخصوصا غير الغربية، فقد تدهورت من الحالة المثلى إلى الحالة الأدنى بسبب ما قاموا به من أفعال شريرة، وما يمارسونه من طقوس ومعتقدات شاذة وغريبة.

[1] فتحية محمد إبراهيم، **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان**، مرجع سابق، ص 56.

العصور الوسطى عند العرب والمسلمين:

بدأت بوادر الحضارة العربية الإسلامية في الانتشار والازدهار خصوصا بعد الفتوحات الإسلامية فقد تم فتح عدة أقاليم من إسبانيا حتى الهند، وتضمنت هذه الحضارة: الآداب والفلسفة والأخلاق والمنطق... وغيرها. ومن أجل تنظيم نظام الحكم في البلاد المفتوحة كان من الضروري الإهتمام بأحوال الناس. فبرز العرب في وضع المعاجم الجغرافية وإعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الرابع عشر الميلادي واعتمدت مواد هذه الموسوعات على المشاهدة والخبرة الشخصية وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.

ومن بين العلماء البارزين في هذه الفترة نذكر[1]:

- البيروني (362 –440هـ) وضع كتابا عن الهند بعنوان " تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" وصف فيها المجتمع الهندي وصفا دقيقا اجتماعيا وثقافيا.)...
- الرحالة ابن بطوطة: المتميز بكتاباته الأنتربولوجية و الشاملة للوصف الدقيق للحياة اليومية، فقد اشتهر ابن بطوطة بأنه دقيق الملاحظة يرغب في الإطلاع على كل شيء غريب.
- المؤرخ والفيلسوف الإجتماعي ابن خلدون (1332 –1406): كتب ابن خلدون تاريخا ضخما عن العرب والبربر، مزودا بمقدمة ضخمة نقدية طويلة حول استخدامه للمصادر فقد أنشأ أولى النظريات الإجتماعية، وسبق أفكار اميل دوركايم عن التماسك الإجتماعي. ويؤكد ابن خلدون على أهمية القرابة والدين في خلق شعور من التلاحم والإلتزام المتبادل بين أعضاء جماعة ما. يتحدث ابن خلدون عن نشأة المجتمع الإنساني وتطوره ولا يستمر هذا المجتمع – حسب ابن خلدون – إلا بوجود سلطة قائمة، خاصيتها الأساسية القهر بما تفرضه من نظم وقوانين وسلوك عام تخضع له الجماعة ككل، وبدون السلطات فهي حالة الفوضى المؤدية إلى الحرب، والسلطان القاهر المنظم للمجتمع يستند بدوره إلى العصبية التي هي بمثابة مفهوم مركزي في التحليل الخلدوني لنشأة المجتمعات وتطورها واندثارها، وعليه فقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات البشرية، ودورة الحضارات التي تمر بها. ويرى بعض علماء الأنتروبولوجيا البريطانيون أن في مقدمة ابن خلدون بعضا من موضوعات الأنتروبولوجيا الإجتماعية ومناهجها.

[1] فتحية محمد إبراهيمن **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان**، مرجع سابق، ص 130.

و استنادا إلى ما تقدم يمكن القول إن الفلاسفة و المفكرين العرب أسهموا بفاعلية خلال العصور الوسطى في معالجة كثير من الظواهر الإجتماعية التي يمكن أن تدخل في الإهتمامات الأنتربولوجية و لاسيما النتوع الثقافي بين الشعوب سواء بدراسة خصائص ثقافة أو حضارة بذاتها أو بمقارنتها مع ثقافة أخرى و لكن على الرغم من اعتبارها مصادر للمادة الإثنوغرافية التي درست أسلوب الحياة في مجتمع معين و خلال فترة زمنية محددة و لاسيما العادات و القيم و أنماط الحياة فإن الأنتربولوجيا التي تبلورت في أواخر القرن التاسع عشر كعلم جديد معترف به لم تكن ذات صلة تذكر بهذه الدراسات و لا بغيرها من الدراسات اليونانية و الرومانية القديمة هذه الأخيرة التي تعتبر كما سبق و أشرنا إلى ذلك بمثابة الإسهامات و المحاولات و التطبيقات الأولى قبل ظهور علم الأنتروبولوجيا.

المحاضرة الثامنة: الأنتروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية:

بدأ عصر النهضة في أوربا في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي 14 حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، مترافقة بحركة ريادية نشطة للإستكشافات الجغرافية. وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والإجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر [1].

إن هذه التغيرات مجتمعة أدت إلى ترسيخ عصر النهضة (التنوير) وأسهمت بالتالي في بلورة الأنتروبولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر كعلم، يدرس تطور الحضارة البشرية في إطارها العام وعبر التاريخ الإنساني، الأمر الذي استلزم توافر الموضوعات الوصفية عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، في أوروبا وخارجها، من أجل المقارنات والتعرف على أساليب حياة هذه الشعوب وترتيبها بحسب مراحل تطورية معينة، بحيث يضع ذلك أساسا لنشأة علم الأنتروبولوجيا.

أهم مرحلة استكشافية أثرت في علم الأنتروبولوجيا هي الرحلة التي قام بها كريستوف كولومبوس إلى القارة الأمريكية ما بين (1492 –1502)حيث زخرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة. وكتب في وصفه لسكان أمريكا الأصليين:

إنهم يتمتعون بحسن الخلق والخلق، وقوة البنية الجسدية، كما أنهم يشعرون بحرية التصرف فيما يمتلكون إلى حد أنهم لا يترددون في إعطاء من يقصدهم أيا من ممتلكاتهم، علاوة على أنهم يتقاسمون ما عندهم برضا وسرور.[2]"...

وتميز عصر النهضة الأوروبية بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان وهي أن المفكرين اتفقوا على الرغم من تباين وجهات نظرهم على مناهضة فلسفة العصور الوسطى اللاهوتية، التي أعاقت فضول العقل الإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها وتكوين الطبيعة وقوانينها وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية. وظهر نتيجة لهذا الموقف الجديد اتجاه لدراسة الإنسان عرف بالمذهب

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنتروبولوجيا في المجال النظري**، مرجع سابق، ص 87.

[2] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنتروبولوجيا في المجال النظري**، المرجع السابق، ص 95.

الإنساني العلمي، اقتضى دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، حيث اتجهت دراسة الطبيعة الإنسانية وفهم ماهيتها وأبعادها وفق المراحل التاريخية (التطورية للإنسان.)

وقد تبلور هذا الاتجاه العلمي في الدراسات التجريبية والرياضية التي ظهرت في أعمال بعض علماء القرن 17 من أمثال فرانسيس بيكون ورينيه ديكارت وإسحاق نيوتن وغيرهم، حيث أصبحت النظرة الجديدة للإنسان على أنه ظاهرة طبيعية ويمكن دراسته من خلال البحث العلمي، والمنهج التجريبي، وهذا ما ساهم في تشكيل المنطلقات النظرية للفكر الاجتماعي.

وقد ظهر عالم الاجتماع الفرنسي ميشيل دومونتان (1532 –1592)والذي أجرى مقابلات مع مجموعات من السكان الأصليين في أمريكا المكتشفة، والذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوروبا، وبعد أن جمع منهم المعلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلي، خرج بالمقولة التالية:

إنه لكي يفهم العالم فهما جيدا، لابد من دراسة التنوع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنوع[1]"

و يكون بذلك قد طرح فكرة النسبية الأخلاقية. ويأتي القرن الثامن عشر، ليحمل معه كتابات جان جاك روسو J.J. Rossow ، التي احتلت أهمية كبيرة لدى مؤرخي علم الأنثروبولوجيا، وذلك بالنظر لما تضمنته في دراستها الأثنوغرافية للشعوب المكتشفة (المجتمعات البدائية) مقارنة مع المجتمعات الغربية الأوروبية.

لقد تميزت وجهة النظر الأنتربولوجية عند روسو بالتجرد و الموضوعية، حيث تجلى ذلك في نقد بعض القيم والجوانب الثقافية في مجتمعه الفرنسي، مقابل استحسان بعض الطرائق الحياتية في المجتمعات الأخرى. وفي هذا الإطار، يعد كتابه " العقد الاجتماعي" من البواكير الأولى للفكر الأنتربولوجي.

وكان إلى جانب روسو، دي مونتسكيه الذي وضع كتاب روح القوانين و أوضح فيه فكرة الترابط الوظيفي بين القوانين والعادات والتقاليد والبيئة. وسادت هذه الفكرة الترابطية في أعمال الأنتربولوجيين في أوائل القرن العشرين، ولا سيما عند الأنتربولوجيين الإنجليز، حيث انتقل اهتمام مونتسكييه بدراسة النظم

[1] عيسى السماش، مدخل إلى علم الإنسان الأنتربولوجيا، مرجع سابق، ص 78.

السياسية، و تأثير المناخ على نوعية الحضارة أو الثقافة فيما بعد إلى الكتابات الأنتروبولوجية، وشكل مجالاً واسعاً للدراسات الأنتربولوجية[1].

أما في ألمانيا، فقد تبلور الفكر في عصر التنوير، عن التفوق العنصري و النزعة القومية التعصبية وظهر ذلك واضحا في كتابات كل من جورج هيجل (1770_1831)وجوهان فخته (1762-1814)، حيث جعلا الشعب الألماني، الشعب الأمثل والأنقى بين شعوب العالم[2].

أما كتابات جوهان هيردر 1744- 1803 فجاءت لتعزز فكرة التمايز بين السلالات البشرية من ناحية التركيب الجسمي، والتفاوت فيما بينها بمدى التأثر بمظاهر المدنية و في تمثلها لمقومات الحضارة. و على هذا الأساس، يذهب هيردر إلى أن ثمة سلالات بشرية خلقت للرقي و سلالات أخرى قضي عليها بالتأخر والانحطاط[3].

لكن هذا الاتجاه العنصري في الدراسات الأنثربولوجية، واجه انتقادات كبيرة في بداية القرن العشرين حيث برزت فكرة أنه لا يجوز أن تتخذ اللغة كأساس أو دليل على الانتماء إلى أصل سلالي واحد و أن العلاقة بين الجنس البشري و اللغة لا يجوز أن تكون أساسا لتقسيم الشعوب الإنسانية إلى سلالات متمايزة وقد نقض ذلك ودحضه، فيما بعد، الفكر الأنتروبولوجي القائم على المشاهدة الواقعية، والدراسة الميدانية المقارنة لمجتمعات الشعوب الأخرى[4].

وهنا يمكن القول أن الأنتربولوجيا المتحررة التي ظهرت اتجاهاتها و قضاياها الإنسانية مند انتهاء الحرب العالمية الثانية تجد و لا شك–في الكتابات الفرنسية في عصر التنوير، جذورا أو أصولا نظرية لمنطلقاتها الفكرية[5].

---

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنتروبولوجيا في المجال النظري**، مرجع سابق، ص 96.

[2] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص203.

[3] حسين فهيم، **قصة الانتروبولوجيا**،. مرجع سابق، ص176.

[4] عيسى السماش، **مدخل إلى علم الإنسان الأنتربولوجيا**، مرجع سابق، ص99.

[5] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص80.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن القول : إن الفكر الأنثروبولوجي الذي ساد أوروبا في عصر التنويرو تجلى في كتابات العديد من الفلاسفة والباحثين والمؤرخين شكل الملامح النظرية الأولى لعلم الأنثروبولوجيا، الذي بدأ يستقل بذاته مع بدايات القرن العشرين، ويتبلور بمنطلقاته وأهدافه في النصف الثاني من القرن ذاته[1].

[1] عيسى السماش، مدخل إلى علم الإنسان الأنتربولوجيا، مرجع سابق، ص 198.

المحاضرة التاسعة : النشأة الأكاديمية لعلم الأنتربولوجيا:

لقد اكتسبت الأنتربولوجيا هويتها المعرفية و العلمية من خلال الممارسات و التطبيقات الإثنوغرافية التي وجدت في الحضارات السابقة، خصوصا ما تم انجازه من طرف الرحالة في الحضارة العربية الإسلامية، ضف إلى ذلك كتب مفكري عصر التنوير في أوروبا و التي شكلت أرضية معرفية أكثر تحديدا و توجيها للبحث الأنتربولوجي من حيث الإهتمام بموضوعات البحث، و المضي للاستقلال و التميز في الساحة البحثية الأكاديمية خصوصا في نهاية القرن التاسع عشر و بداية مطلع القرن العشرين، و فيمايلي تتبع لأهم الممارسات و الأعمال الميدانية التي أرست أسس و دعائم الأنتربولوجيا كعلم قائم بذاته.

1. بعثة جامعة كامبردج إلى جزر مضاييق توريس:

تعتبر هذه البعثة العلمية التي أوفدتها حامعة كامبرِذج إلى مضاييق توريس في المحيط الهادي ما بين سنتي 1898 إلى 1899من الرحلات العلمُية البحثية الأولى في مجال الأنتربولوجيا حتى وان كانت قد سبقتها الدراسة الميدانية التي قام بها لويس هنري مورغان على بعض قبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية عام 1851.إضافة إلى الدراسة الميدانية التي أجراها فرانس بواس عام 1901 على بعض قبائل الاسكيمو وبعض قبائل الهنود الحمر، و كانت الرحلة البحثية الميدانية الى مضاييق توريس بوحي من السير جيمس فريزر وبتموميل من جامعة كمبرِذج و تحت إشراف عالم الأحياء الشهير في فترة سابقة قبل أن يتحول الى مجال الأنثروبولوجيا ، إنه الأستاذ "ألفرد كورت هادون 1855.1940، صاحب النزعة العلمية و التجريبية و التي بمقتضى إلتزامه بها عند القيام بالأبحاث أطلق عليه مؤسس و رائد الإتجاه العلمي في الأبحاث الحقلية وإلى جانب هادون كانت جامعة كامبريدج متعاقدة كذلك مع عالميين بارزين لهما مكانة علمية مرموقة وهما مايرز و ريفرز و قد كانا من أعضاء بعثة كامبريدج إلى مضاييق توريس 1898. إضافة إلى ماكدوجال و الثلاثة كانوا مختصيين في علم النفس[1].

لقد شكلت بعثة جامعة كامبريدج إلى مضاييق التوريس أول بداية جادة لضمان نوعية البيانات الأنتربولوجية للعلامة ألفرد كورت هادون في بداية مسارة العلمي و العملي حيث تمكن من جمع مواد اثنوغرافية متنوعة،

[1] منصور، مرقومة، **الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة**، المجلد 4، العدد 8، مجلة التدوين، الجزائر، 2016، ص 132.

حيث جلب معه كتاب ملاحظات و تساؤلات و بعد عودته أيضا كتب بحوثا في موضوعات أنتربولوجية واستمر في تطوير اهتماماته الأنتربولوجية.[1]

هذا و قد اعتبر هانيس بأن أعمال هذه البعثة إلى مضايق توريس بين أستراليا و غانا الجديدة قد أدت إلى ولادة و تأسيس الأنتربولوجيا البريطانية.

دراسة فرانس بواس للإسكيمو في جزيرة بافن:

و كانت دراسة فرانس بواس للإسكيمو تمت خلال الفترة من 1883إلى 1884، بتمويل من إحدى الصحف الألمانية على أساس أن يوافيها بواس بمقالات عن رحلته و كان هدف الدراسة حسب ما حدده بواس هو التعرف على مدى ارتباط هجرات سكان الإسكيمو الحاليين بالطبيعة الفيزيقية للأرض و تضاريسها و بمعنى أخر العلاقة بين إدراك الإسكيمو لجغرافية الموطن الذي يعيشون في نطاقه و بين أنماط تحركهم عبر هذا الموطن.

وفي عام 1888نشر فرانس بواس دراسته في كتاب بعنوان The center Eskimo حيث برز جليا اهتماماته الخاصة بإبراز المحددات المميزة لثقافة الإسكيمو من حيث مورفولوجيا المكان الذي تتوزع وتنتشر به القبائل و أساليب ووسائل الصيد و كيفيات و أشكال بناء المساكن و كيفيات و طرائق التنقل و ممارسة التجارة و مكونات و عناصر و خصوصيات الحياة الإجتماعية و الممارسات الدينية، و الوسائل التكنولوجية المتاحة لديهم،إضافة للمظاهر الفولكلورية. لقد شهدت الممارسة الأنتربولوجية مع فرانس بواس منعطفا حقيقيا، فقد كان بواس رجل ميدان، و كانت التحقيقات الميدانية التي أجراها ابتداءا من السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر رائدة خاصة بين قبائل كواكيوتل و الشينوك[2].

راد كليف براون و دراسة جزر الأندمان:

قام عالم الأنتربولوجيا الإنجليزي ألفريد ريغنالد راد كليف براون بدراسة حول سكان جزر الأندمان، كان راد كليف براون قد درس فروعا متعددة في ميدان العلوم الإنسانية و الإجتماعية كالفلسفة و علم النفس والإقتصاد و العلوم الطبيعية بجامعة كمبردج، التي تخرج منها، درس بجامعات عديدة كسيدني و شيكاغو، حتى صار أستاذ الأنتربولوجيا الإجتماعية الأول بجامعة إكسفورد.

1عزلز الطاهر، **محاضرات في مقياس اللأنتروبولوجيا الإجتماعية والثقافية**، مرجع سابق، ص 98.

[2]منصور، مرقومة، **الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة**، مرجع سابق، ص 205.

من اهتماماته البحثية المبكرة في مجال الأنتربولوجيا، هو التركيز على دراسة السكان الأصليين لأستراليا ومن أبرز الدراسات الحقلية الممنهجة التي قام بها كانت بين سنتي 1906إلى 1908 بجزر الأندمان.

بالإضافة إلى ما قام به خلال سنوات 1910و 1913 غرب أستراليا و من أبرز ما ركز عليه راد كليف براون خلال دراساته الحقلية التي قام بها هو دراسة البناء الإجتماعي و أنساق القرابة.

من مؤلفاته: جزر الأندامان (1922)، البنية و الوظيفة في المجتمع البدائي(1952)، علم طبيعي للمجتمع(1957)،المنهج في الأنتربولوجيا الإجتماعية(1958)[1].

برونيسلاو مالينوفسكي:

ولد مالينوفسكي في كراكوفيا" بولونيا Pologne " عام1884 ،بعد تحصله على درجة الدكتوراه، أصر على إعداد أطروحته للدكتوراه في علم الأنتروبولوجيا وكان موضوعها حول :" العائلة عند سكان استراليا الأصلُيين" La Famille chez les Aborigènes d Australie

عام 1913 وبمساعدة من سليغمان قام بثلاث رحلات اثنوغرافية طويلة في مجموعة من الجزر شرق غينيا الجديذة شمالي أستراليا، كانت الأولى إلى جزيرة ميلو عام 1915 حيث أقام بضعة أشهر ببن المايلو في جنوب شرق الجزيرة ، ثم قام بالرحلتين الأخرتين إلى جزر التروبوياند وهي عبارة عَن أرخبيل بحري في الفترة مابين 1915 –1918. وبعدها نشر أشهر كتبه والذي أخذ صِيتا كبيرا في مجال الأنتروبولوجيا وكان عنوانه "Les Argonautes du pacifique occidentalوترجمته للعربية:"مغامروا المحيط الهادي الغربي أو سكان الأرجوناوتس في غرب المحيط الهادي 1922[2].

و من خلال الابحاث التي أجراها مالينوفسكي توصل إلى قناعة مفادها بأنه يمكن للمجتمع أن يفهم من خلال الطريقة الكلية، كوحدة للأجزاء المظفورة مع بعضها البعض، و ينبغي للتحليل أن يكون تزامنيا بمعنى غير تاريخي وكان مالينوفسكي قد صاغ منهجا مفيدا عند قيامه بالدراسات الحقلية كان من أبرز مميزاته هو اعتماده على الملاحظة بالمشاركة، و اتقانه للغة المجتمع المدروس.

---

[1] غفور عبد الباقي، **مقياس أنتربولوجيا الجزائر**، محاضرات موجهة لطلبة السنة ليسانس تخصص أنتربوبولوجيا ثقافية واجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2021–2022، ص 302.

[2] محمد الجوهري، علياء شكري، **مقدمة في دراسة الأنتروبولوجيا**، مرجع سابق، ص 176.

مارسيل موس:

هو عالم إجتماع و أنتربولوجي فرنسي ، ولد في إبينال عام 1872 ينتمي لعائلة يهودية حاخامية، درس الفلسفة في جامعة بوردو حيث كان خاله إيميل دوركايم و كان لفكر هذا الأخير تأثير كبير على مارسيل موس[1].

دراسة التغيرات الفصلية لدى الإسكيمو:

لم يجري مارسيل موس الدراسة الحقلية بنفسه، و إنما قام بالإعتماد على بعض البيانات الحقلية التي قدمها باحثون اخرون،ثم قام بإجراء تحليلات معمقة بخصوص المادة و البيانات الميدانية التي تحصل عليها، وهذا شأنه شأن العديد من الباحثيين الفرنسيين الذين ينتمون للمدرسة السوسيولوجية الفرنسية،

ومن أبرز الإستنتاجات التي توصل إليها مارسيل موس من خلال التحليل المركز للمعطيات الميدانية حول الإسكيمو هو تلك العلاقة التلازمية بين نوعية الموارد الطبيعية المتوفرة لدى الإسكيمو في زمن أو فصل معين و ظهور أشكال مختلفة من الإقامة لديهم.

لقد كانت إسهامات مارسيل موس متعددة في التأسيس للفكر الأنتربولوجي و إنتاج المعرفة الأنتربولوجية من خلال غزارة مقالاته التي كتبها و نشر بعضها في مجلة الحولية السوسيولوجية.

إيميل دوركايم:

وfخصوص اهتمام دوركايم بالإثنولوجيا فقد جاء في مرحلة لاحقة عن المرحلة الأولى التي كان دوركايم يسعى للوصول لترسيخ علمية العلوم الاجتماعية خصوصا علم الاجتماع، ففي هذه المرحلة توجس دوركايم من الإثنولوجيا، غير أن هذا التوجس و الريبة الدوركايمية من الأنتربولوجيا نجدها في المرحلة الثانية من المسيرة الفكرية و البحثية لإيميل دوركايم تتغير جدريا نحو الإيجاب و إبراز الضرورة العلمية و الفائدة الكبرى لعلم الأنتربولوجيا و ما يقدمه من فوائد في فهم الظواهر الاجتماعية.

ويرى ليفي ستروس أن التغير الدوركايمي اتجاه الأنتربولوجيا خصوصا خلال الفترة الممتدة من 1891_1912، كان سببه الرئيسي إطلاعه على دراسات و أبحاث مؤلفيين أنتربولوجيين من ذوي السمعة العلمية و الأكاديمية فقد تميزت أبحاثهم و مؤلفاتهم بأنها انطلقت أساسا من البحث الميداني الحقلي، من

[1] غفور عبد الباقي، **مقياس أنتربولوجيا الجزائر**، مرجع سابق، ص 76.

أبرزهم فرانس بواس بالإضافة إلى تأثره الكبير بأعمال الأنتربولوجي الشهير إدوارد تايلور و برز تأثر دوركايم بوضوح لاحقا بأعمال هؤلاء في جملة أعماله الفردية أو المشتركة مع غيره[1].

و ظل التفكير الدوركايمي مع ملاحظة أنه وظيفي مثل تفكير مالينوفسكي إلا أنه لا يتبع في شيء الأنموذج البيولوجي بمقتضاياته المنهجية الجديدة، لقد قام بتجديد ابستمولوجية العلوم الإجتماعية في النصف الأول من القرن العشرين أو بلغة أصح سيجدد العلوم الاجتماعية و سوف يؤثر تاثيرا بالغا في البحث الانتربولوجي ولا سيما في إنجلترا و من البديهي في فرنسا بلد دوركايم.

[1] كيروزيل إديث، **عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو**، ترجمة جابر عصفور، قرطبة للنشر الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 178.

المحاضرة العاشرة :الأنتربولوجيا الحديثة: الموضوع و الهدف

لقد حاولت الأنتربولوجيا التحرر من التمركز الذاتي للثقافة الغربية و محاولة ايضاح الخلط بين مفهومي التنوير و الإستعمار حيث استغلت ذريعة نشر الأنوار و التبشير بالحضارة من أجل اكتساح و استعمار و السيطرة على العديد من المجتمعات و الثقافات الأخرى أو الغيرية، كما تم إبادة العديد من الأعراق بثقافاتها بحجة أنها همجية و بعيدة كليا عن التمدن الغربي و في مستنقع التخريب و صناعة الإستعمار لمأساة العديد من الشعوب تنادت أصوات من تيارات أنتربولوجية تهاجم منظومة الإستعمار و تندد بالعلاقة غير المشروعة بين الأنتربولوجيا و الإستعمار مدافعة عن المجتمعات و المكونات الثقافية من غير الأوروبية، خصوصا الشعوب المستعمرة، و دعت إلى دراستها من منظور الخصوصية و الكينونة الذاتية لهذه الثقافات و ليس من منظور المركزية المتعالية الأوروبية و أوضحت العديد من البحوث على أن ما سمي بالمجتمع البدائي ليس هو ذلك المجتمع الذي صورته الأنتربولوجيا في البدايات الأولى. إنما هي مجتمعات تمتلك ثقافات تختلف عن ثقافات المجتمعات المعاصرة، و لم تكن يوما ثقافة المجتمعات المستعمرة ثقافة متخلفة أو وحشية ميتة و غير قادرة على صنع الحضارة بل كانت ثقافات وظيفية في تلك المجتمعات في عملية ترابط و تبادل بين مختلف الأنساق[1].

لقد كان الفضل الكبير للأنتربولوجي ميليفيل هرسكوفيتز في تطويره لمصطلح النسبية الثقافية و لقد كان لهذا المصطلح أثر كبير لاحقا، فتطورت الرؤى ليتولذ اتجاه في الأنثروبولوجيا، قام على نسبية الثقافة كمنطلق وعلى نقد الاتجاهات الأنثروبولوجية القائمة كالتطورية والوظُيفُية خصوصا، فيرى هيرسكوفُيتز أنه من غير المنطقي والعلمي أن تطلق الأحكام وتبنى التصنيُفات تجاه الثقافات من قبل البعض فوصفت بعض الثقافات بالتخلف،والأخرى بالبساطة وأحيانا بالخاملة، تارة بالبدائية، وكلها أحكام وتصنيُفات مبنية وفق نزعة تمركز ذاتية أوروبية و هذه القيم والتصنيُفات تجاه ثقافات الأخر غير الأوروبي استغلت من قبل الأجهزة الاستعمارية لشرعنة فعلها الإستعماري تحت غطاء نشر الأنوار والحضارة. ولكن بالمقابل والأسلم أن لكل ثقافة خصائصها ومنطقها الداخلي الذي يحكمها، ولها وظيفة بناء وصُياغة شخصية الفرد، وصياغة ووضع محددات الشخصية الجماعية أو المجتمعية لكل جماعة بشرية.

هذه المجتمعات بلا شك لها مساراتها وتجاربها الخاصة في التاريخ، ولها اسهاماتها الحضارية، على اختلاف الأعراق و الأجناس.

---

[1] منصور، مرقومة، **الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة**، مرجع سابق، ص 230.

ويرى ادوارد سعيد[1] أن الكتابات الأنتروبولوجيه، كانت لا تذكر أي عنصر إيجابي : ثقافي، أو سياسي، أو اجتماعي تتضمنه ثقافة الأخر، مما يترتب على ذلك ضرورة رعاية هذا الأخر. وبالطبع الغرض هو تبرير الاستعمار وتذعيم الهيمنة الغربية على الشعوب، و لا يزال يختفي وراء أيدولوجيات التنمية والتحضر التي تدعو إليها بادعاء تطويرها وتقديمها،هكذا يشير سعيد إلى السياق السياسي الذي تتم على ضوءه الكتابات الغربية عن الأخر، يضاف إلى ذلك أن تجاهل إيجابية الشعوب غير الغربية على هذا النحو يخفي وراءه نزعة أو شعورا قوياً بالإعتداد والنمو والتمركز حول الذات الثقافية الغربية، هذا الشعور الذي كان يختفي كذلك وراء صياغة النظريات الكبرى بوجه عام بمختلف مناحيها: الاجتماعية والنفسية أو العقلية، هذه النظريات التي سادث النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فمعظم هذه النظريات رسمت عددا من المراحل المُتتالية المتمايزة المختلفة التي يمر بها المجتمع البشري منذ المرحلة الأولى التي كان يعيشها وأن كل مرحلة تكون أكثر تطورا وتقدما عن المرحلة التي تسبقها. وقد كانت من الاسباب الرئيسية لنقد هذه النظريات النزعة الذاتية للثقافة الغربية والتمركز حولها. فكانت بعيدة كليا عن الموضوعية والمنطق مما رتب على ذلك سقوطها.

لقد أفلحت عمليات النقد التي وحهت للأطروحاث الأنتروبولوجية الكلاسيكية خصوصا في بعدها التطوري والوظيفي، في تهذيب الرؤى التي كانت تشكل ظهيرا للمنظومة الاستعمارية ، كما تم تقديم قراءات جديدة من خلال التركيز على انتاج وكتابة النص الإثنوغرافي، خصوصا ما تظمنه أسلوب الاختبار أو التجريب الذي جاء به خلال منتصف الثمانيناث من القرن العشرين كل من ماركوس وفيشر[2]. وهو ما أتاح انزياح العديد من المحذذات المنهجية التي كانت تصبغ البحث بصبغة إثنوغرافية، كدراسة مجتمع بعيد جغرافيا، غريب ثقافيا مقارنة بثقافة الباحث وهو ما أدى الى تغيير ميدان البحث من المجتمعات المسماة غرائبُية الى البِيئات الصناعية، والعوالم المعاصرة المتداخلة ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا تحت المعطيات الحتمية للعولمة لقد ظهرت أنتروبولوجيات متمايزة نوعا ما من حيث الموضوعات وإن اتحذت من حيث المنهج والأدوات، خصوصا لما أصبح ممارسي البحث الأنتروبولوجي من أبناء المجتمعات المحلية ، وأصبح أنتروبولوجيو بلدان موضوع الأنتربولوجيا في بداياتها يطرحون جملة من القضايا و الموضوعات البحثية النابعة من مشكلات أبناء المجتمع المحلي، فظهرت موضوعات بحثية جديدة كالعلاقات الإجتماعية وسياسات التنمية،

[1]Said, Edward W, **Orientalism**. New York: Pantheon Books, 1978, P123.

[2]منصور، مرقومة، **الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة**، مرجع سابق، ص90.

مشكلات الفقر، التغير الاجتماعي والثقافي في ظل الثورة الرقمية، مشكلات العنف الإستقرار و السلم الإجتماعي.

لقد كانت معظم الدراسات الأنثروبولوجية قد قام بها أشخاص من خارج المجتمعات المدروسة، أغلبيتهم من الغربيين و لم تكن ظاهرة الأنتربولوجيين المحليين معروفة على الإطلاق ولكن مع انخراط أعداد من الباحثيين من أبناء هذه المناطق ممن تخصصوا في الدراسات الأنتروبولوجية، أصبح مايقدمونه موضع اهتمام ويشكل رافذا ربما مختلفا عن دراسات الخارجيين ورغم ماذكر من معيقات منهجية الباحث المحلي عند قيامه بدراسة مجتمعه (كصعوبة التحلي بالموضوعية لأنه ينتمي إلى المجتمع محل الدراسة)، غير أن هده الاستدراكات محدودة التأثير، فالباحث المحلي على العكس من ذلك لمعرفته لغة المجتمع والثقافة التي يقوم على دراستها، ولمعرفته بالخلفيات التاريخية، والمعرفة العامة بمجتمعه من ناحية ، ومعرفته بسبب شروط تأهيله العلمي بثقافة المجتمعات الأخرى، ربما كان أقذر على القيام بالعديد من المقارنات، وكذلك تقذيم العديد من التبصرات في دراسته. ففي الاتجاه النقذي في الأنتروبولوجيا طروحات هادفة لإعطاء فرصة للشعوب من غير الأوروبية لإيجاد جهاز مفاهيمي أنتروبولوجي، وتوليد نماذج نظرية نابعة من طبيعة بيانات المشكلات المحلية المدروسة، بعيدا عن الاسقاط القسري للسرديات والنظرياتٍ الأنتروبولوجية الكلاسيكية عند دراسة و تحليل مشكلات المجتمعات غير الأوروبية، ومن هنا ظهرث أنتروبولوجيات عديدة كأنتروبولوجيا العربية، أنتروبولوجيا البرازيلٍ، أنتروولوجيا الهنذ....

إنها مرحلة جديدة من تاريخ الأنتروبولوجيا ودعوة لأن يشتغل الباحثون المحليون من أبناء المجتمعات التي شكلت موضوع هذا العلم سابقا بمشكلات مجتمعاتهم دراسة وبحثا، بعيدا عن الأنتروبولوجيا الموجهة وفق الإرادة والإدارة الاستعمارية التي كانت سائدة من قبل، وبعيدا عن الطروحات الحتمية، كحتميُات الماركسية، أو حتمية الثقافة لذى التطورية والوظيفية. وكان هذا قد فنذه أصحاب النسبية الثقافية. فشنوا حملة من التحليل والنقد على الترسانة المفاهمية والقوالب النظرية المنمطة النابعة من المنظومة الفكرية للمركزية الغربية في نظرتها للثقافات الأخرى[1].

[1] عبد الله حمودي، **في إعادة صياغة الأنتربولوجيا**، سلسلة محاضراتمركز الدكتوراه الإنسان و المجال في العالم المتوسطي رقم 4، منشورات الأداب، بيروت، 2010.

أهمية الأنتربولوجيا في العصر الحالي:

عرفت الأنتربولوجيا تغيرا ملحوظا بحكم التغيرات التي حدثت خصوصا في الدول المستعمرة ، مما استلزم نظرة متغيرة تجعل كل المجتمعات قابلة للدراسات الأنتربولوجية فمن أهم النظريات الأنتربولوجية الحديثة نجد نظرية الإتصال الثقافي، أو التثاقف و المثاقفة بمعنى تأثر الثقافات بعضها ببعض نتيجة الاتصال بين الشعوب و المجتمعات مهما كانت طبيعة هذا الإتصال و أهدافه هدا و تعد الباحثة الأمريكية مارغريت ميد من الأوائل المتبنيين للاتجاه التواصلي التثاقفي في دراستها حول الهنود الحمر[1]. أما في أوروبا في انجلترا فقد ركز معظم الباحثيين جل اهتماماتهم على دراسة عمليات التواصل الثقافي عند الشعوب الإفريقية و ما أحدثه من تغيير ثقافي و في هذا الإطار دعمت دراسات هرسكوفيتز فكرة النسبية الثقافية حيث تساءل: كيف يمكن أن نطلق أحكاما تقييمية على الثقافة البدائية تلك الثقافة التي لا تعرف الكتابة و أن كل فرد ينتمي إلى هذه الثقافة يفسر الحياة الإنسانية في حدود ثقافته الخاصة، فهو يرى أنه من الخطأ أن تسعى الثقافة الغربية لاطلاق أحكام مسبقة على الثقافات الأخرى و تتخد من هذه الأحكام مبررا أساسيا للممارسات الإستعمارية[2].

وكذلك الحال في فرنسا حيث اتخد الباحثون مواقف مشابهة لمواقف هرسكوفيتز في دعم تبني مفهوم النسبية و مناهضة النزعة الاستعمارية فرفضوا الفوارق التثاقفية و الاستعلاء الغربي على الشعوب الأخرى، وإذا كان مفهوم النسبية عكس اتجاها ايديولوجيا خاصا و ارتبط بمرحلة تاريخية معينة فإن الظروف التي رافقته تغيرت بعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأت الشعوب في المجتمعات المستعمرة تنال استقلالها و تقرر مصيرها بنفسها فلم تعد بحاجة لدفاع الانتربولوجين عنها و اثبات وجودها في إطار النسبية الثقافية فكان من الضروري إيجاد فكر جديد ينسجم مع هذه المستجدات فكان أن اتجه الأنتربولوجيون إلى إحياء الفكرة التطورية تحت اسم النظرية التطورية الحديثة[3]. و التي ظهرت في نهاية النصف الأول و بداية النصف الثاني من القرن العشرين حيث بدأ الأنتربولوجيين بتبني نظرية خاصة لدراسة المجتمعات الإنسانية و مراحل تطورها و موقع التغيير الثقافي في ذلك، من أبرز هؤلاء عالم الأثار الإنكليزي جوردن تشايلد و الأمريكيان جوليان ستيوارد و ليزلي هوايت الذي دعا إلى عدم استخدام النظم الأوروبية كأساس لقياس التطور و ضرورة إيجاد محكات أخرى يمكن قياسها و تقليل الأحكام التقديرية بشأنها.

---

[1] منصور مرقومة، **الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة**، مرجع سابق، ص 199.

[2] فريديريك بارث وآخرون، **الأنثروبولوجيا حقل علمي وأربع مدارس**، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر وايمان الوكيلي، المركز العربي لألبحاث ودراسة السياسات، قطر،2017، ص 23.

[3] عثمان لكعشمي: **من أجل أنثروبولوجيا جديدة لعالم جديد**، مجلة الفيصل، العدد 509 ،الرياض، 2019، ص 153.

أكد هوايت في كتابه علم الثقافة المنشور عام 1949 أن من المهم ألا تقتصر النظرية التطورية على تحديد مراحل معينة لتسلسل النمو الثقافي و إنما لابد من إبراز العامل أو العوامل التي تحدد هذا التطور و يمثل عامل الطاقة في نظره المحك الرئيسي لتقدم الشعوب أي أن المضمون التكنولوجي في ثقافة يحدد كيانها الإجتماعي و اتجاهاتها الإيديولوجية، حيث يرى هوايت أن الثقافة تنمو و ترقى بازدياد كمية الطاقة و الكفاءة المتخصصة لهذه الطاقة بمعنى أن الخبرة الإنسانية المتراكمة في مجال التحكم في الطاقة هي عامل مهم للتطور الثقافي للمجتمع[1].

كما يؤكد هوايت بأن تطور الأنظمة الإجتماعية مرهون بتطور الأنظمة التكنولوجية و اعتبر أن معيار تقييم تقدم مجتمع هو مقدار الطاقة التي يستهلكها هذا المجتمع و ميز بين خمسة مراحل مختلفة للتطور البشري هي كالتالي:

1. مرحلة يستخدم فيها البشر طاقتهم العضلية الخاصة،
2. مرحلة يستخدمون فيها طاقة الحيوانات المستأنسة،
3. مرحلة تستخدم فيها طاقة النباتات حيث يشير هوايت هنا إلى الثورة الزراعية،
4. مرحلة يتعلمون فيها توليد الطاقة من المصادر الطبيعية كالفحم و النفط و الغاز الطبيعي،
5. مرحلة يتمكن فيها البشر من حصد الطاقة النووية،

كما أوضح جوردن تشايلد أن الثورة العلمية والتكنولوجية و كل التحولات الكبرى في التطور الإنساني هي عوامل أساسية في تغير النسيج الكلي للحياة الثقافية سواء على مستوى الأبنية الإجتماعية أو السياسية أو التنظيمات الأخرى.

نستنتج في الأخير أن للأنتروبولوجيا أٌهمية كبيرة في العصر الحالي لأنها تمكن من اكتساب مجموعة من المعارف المتعلقة بنشأة الإنسان وتطوره عبر التاريخ، وكذا تصنيف مظاهر الحياة البشرية و اكتشاف أصول التغير وغيرها...، وقد ظٍهرت عدة نظريات في هذا الحقل العلمي جاءت كمحاولة لتفسير مختلف الظواهر الإنسانية منها النظرية التطورية الحديثة وكذا نظرية النسبية الثقافية التي قدمت إسٍهامات فكرية مهٍمة ساهمت في إثراء الجانب التنظيري لهذا العلم.

---

[1] سفيان ميمون : **قراءة في الإتجاهات والنظريات الأساسية في الأنثروبولوجيا** ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، تمت زيارة الموقع بتاريخ :2022/11/13 ،على الرابط: https://www.politics-dz.com

تكمن أهمية الأنثروبولوجيا أساسا انطلاقا من الأهداف التي تسعى لتحقيقيها و المتمثلة هي:

-وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك عن طريقة معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم أفرادها من سلوكات في تعاملهم في الحياة اليومية.

-تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية،

-تحديد أصول التغير الذي يحدث لإلنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.

-استنتاج المؤشرات والتوقعات التجاه التغيير المتحمل، في الظواهر اإلنسانية التي تتم دراستها، وبالتصور بالتالي إمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة)[1].

[1] Robert Deliége, **Une histoire de l'anthropologie**, écoles ; auteurs ;théories ,édition Seuil, , France,2006,P239.

المحاضرة الحادية عشر: التيارات الأنتربولوجية

التيار التطوري:

كان للإتجاه التطوري الفضل في احتضان الأنتروبولوجيا حين نشأتها خلال القرن ال19م، فقد كان هم الأنتروبولوجيين آنذاك هو فهم الكيفية التي تنشأ وتتطور من خلالها المجتمعات وثقافاتها، فموضوع البحث الأساسي بالنسبة للتطوريين هو التفسير التاريخي لمختلف المراحل التي مرت بها البشرية من خلال اكتشاف القوانين التي أتاحت عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وكان التطوريون يعتقدون بوجود مسيرة خطية واحدة تسير وفقها المجتمعات البشرية، وأن كل مجتمع لابد له من الانتقال من مرحلة إلى أخرى دون مواجهة أشكال أخرى من التطور، لكن هذه النظرة لم تكن شاملة لجميع التطوريين، فقد رأى البعض أن التطور يسير بكيفية بطيئة ومتدرجة فيما رأى البعض الآخر أنه يسير بوتيرة مختلفة من مجتمع لآخر.

وقد كان المجتمع الغربي بمثابة المرجع الأساسي في قياس درجة تقدم وتخلف المجتمعات، فالمجتمع الغربي يمثل قمة مراحل التطور، وبالمقابل تمثل المجتمعات الأخرى التي تقبع في درجات دنيا من التطور الأصول الأولى للتطور بالنسبة للمجتمع الغربي، هذا الذي سوغ عملية المقارنة بالنسبة للباحثين التطوريين، فكان المنهج المقارن أحد أهم المناهج البحثية لديهم.

كان الأمريكي " لويس مورغان" (1818 –1883) أحد أهم أقطاب هذا الاتجاه من خلال أعماله التي تركزت على وجه الخصوص حول القبائل من سكان أمريكا الأصليين، وقد قدم مورغان إسهامات هامة حول حياة وثقافة هؤلاء السكان الذين عاش معهم، خاصة في عمله حول القرابة (أنساق القرابة والمصاهرة للعائلة البشرية)عام 1870، ولهذا فقد كانت القرابة مدخلا أساسي لدراسة التطور الاجتماعي، فقد تغيرت مصطلحات القرابة مثلا بصورة بطيئة، وأعطت إشارات لفهم المراحل المبكرة للتطور الاجتماعي[1].

وفي كتابه المجتمع القديم الذي صدر عام 1877 يقر مورغان أن المجتمعات البشرية تمر بمراحل تطورية حيث كل مرحلة تشكل نمطا معينا وفقا لمراحل التطور الثقافي، فكل المجتمعات حسب مورغان تخضع لقانون واحد خلال عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وبهذا يصل مورغان إلى أن البشرية تطورت عبر ثلاث [2]مراحل تطورية هي:

---

[1]توينبي آرنولد، **تاريخ البشرية**، ترجمة زيادة نيكولا، مرجع سابق، ص 53.

[2]حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **الأنتروبولوجيا في المجال النظري**، مرجع سابق، ص 45.

- مرحلة الهمجية (التوحش) : ويقسمها إلى ثلاث مراحل وهي مرحلة التوحش الدنيا ومرحلة التوحش الوسطى ومرحلة التوحش العليا، ويوضح مورغان أن هناك ارتقاء ثقافي خلال الانتقال عبر كل مرحلة في تقنيات العيش والنظم الاجتماعية.
- مرحلة البربرية : وتنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل : دنيا ووسطى وعليا.
- مرحلة المدنية (الحضارة): وهي التي تتميز باختراع الكتابة والحروف الهجائية و هي الأكثر تطورا.

كما يعد إدوارد تايلور (1832 –1917) أحد رواد هذا الاتجاه، لقد اهتم تايلور بالثقافة، وهو صاحب التعريف الشهير للثقافة والذي أورده في كتابه " الثقافة البدائية " عام 1871، وعلى الرغم من أنه انجليزي (بريطانيا معقل الأنثروبولوجيا الاجتماعية وليس الثقافية) إلا أنه ساهم في إضفاء قيمة أكبر على مفهوم الثقافة، لقد كان تايلور يؤمن أن المسارات الثقافية التي سلكتها الشعوب لم يكن لها أن تتكرر أينما كان على وجه واحد عبر تلك الحركة الأحادية. فقد كشفت له خبرته الميدانية في المكسيك عن أهمية الاحتكاك الثقافي ومحاكاة الشعوب الأخرى.

غير أن مراحل التطور التي أوردها تايلور لا تمثل حتمية ملزمة مثلما كان عليه الأمر لدى لويس مورغان، فتايلور كان ورغم تصنيفه ضمن الاتجاه التطوري إلا أن آراءه وأفكاره كانت ذات صلة بالاتجاه الذي يقول بانتشار الثقافة، وقد عبر تايلور عن هذا من الناحية النظرية بهذه الفكرة :" *غالبا ما انتشرت الحضارة أكثر مما تطورت*[1]."

كما كانت إسهامات جيمس فرايزر (1854 –1941) ذات أهمية في مجال التطور، ولعل من بين إسهامات فرايزر ما قدمه في كتابه الضخم " الغصن الذهبي" الذي يضم اثني عشر مجلدا والذي صدر بين 1890و1915 بشكل متتابع، وفيه قدم نظرته حول مراحل تطور الفكر الإنساني الذي انطلق من السحر في محاولته السيطرة على الطبيعة ثم إلى الدين من خلال تفويض أمره إلى الآلهة، ثم المرحلة الأخيرة وهي مرحلة العلم[2].

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأنتروبولوجيا في المجال النظري، مرجع سابق، ص 32.

[2] أحمد الخشاب، دراسات انتروبولوجية، مرجع سابق، ص 99.

-نقد النظرية التطورية:

رغم ما جمعته هذه النظرية في بداياتها من علماء حولها وما أنتجته من تراث علمي زاد من المعطيات الأنتروبولوجية في تلك الحقبة ، إلا أنها مع الزمن تعرضت لكثير من النقد بوصف أفكارها تخمينية ضنية لم تصل بعد مرحلة القانون المثبت. كما أن النظرية التطورية تتحدث عن وحدانية النوع البشري وعمومية الحركة التاريخية التي تعيشها كل الثقافات والمجتمعات ، وهي تضع التاريخ كمبدأ لشرح الإختلاف بين المجتمعات من منطلق أن أي اختلاف هو اختلاف في مرحلة التطور لا غير. لكنها بهذا لا تشرح التنوع الثقافي والإجتماعي و لا تأخذ بعين الإعتبار المحددات البيئية والمناخية المختلفة التي تساهم بقدر كبير في تحديد الإختالف الثقافي. إضافة إلى أنها لم تجب عن سبب تأخر بعض الثقافات في التطور دون أخر Ethnocentrismeووقوفها في مرحلة معينة.كما عيب عليها أيضا تمركزها حول الثقافة الغربية الأوربية واعتبارها الغاية النهائية للتطور أو المثال الأصح للتحضر دون غيرها من الثقافـــات[1].

التيار الوظيفي:

ظهر المدخل الوظيفي كرد فعل على أطروحات المدخل التطوري التي انتشرت على نطاق واسع في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشريين فقد انتقل اهتمام علماء الأنتربولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية إلى دراسة ثقافات المجتمعات كل ثقافة على حدا و تحليلها كأنساق وظيفية.

إن الأصول الأولى للتحليل الوظيفي تعود لأفكار الرواد الأوائل لعلم الإجتماع كماكس فيبر و إميل دوركايم وهربرت سبنسر من خلال أفكار الوظيفية الإجتماعية للدين التي طرحها ماكس فيبر و أفكار تقسيم العمل والتضامن الإجتماعي التي طرحها إميل دوركايم و أفكار العلاقات الوظيفية للنظم الإجتماعية قياسا على جسم الكائن الحي التي طرحها هربرت سبنسر[2].

لتأتي الدراسة المشهورة التي قام بها مالينوفسكي برونيسلاو حول ظاهرة السحر لدى الصيادين في جزر التروبرياند بالنظرية الوظيفية او الإتجاه الأنتروبولوجي الوظيفي و هذا بدراسة ما تؤديه العناصر الثقافية والإجتماعية من وظائف ضمن البناء الإجتماعي والثقافي الشامل، فيسعى الوظيفيون في مقاربتهم للظواهر

[1] ستراوس كلود ليفي: الإناسة البنيانية ، ترجمة قبسي حسن، نشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ،1995، ص70.

[2] ستراوس كلود ليفي: الإناسة البنيانية ، المرجع السابق، ص198.

الثقافية والإجتماعية والإقتصادية والدينية إلى مبدأ التفتيت. وتجزئة الظاهرة إلى عناصر صغرى ومتابعة ما يؤديه كل عنصر من وظيفة سواء في إطاره المحدد أم في علاقته مع العناصر الأخرى وفق قانون التفاعل والإنسجام الوظيفي ضمن السياق الإجتماعي أو الثقافي أو الإقتصادي أو السياسي أو الديني.

وانطلاقا مما سبق: تعتبر الوظيفة أن كل مجتمع باعتباره نظام مؤسسات وممارسات لها دلالتها، قادر على الإستمرار في حركته وتحولاته والقيام بوظيفته رغم التغيرات الظاهرة داخليا وخارجيا على المستوى الشخصي وقادر على الممارسات غير المهمة، فالمجتمع ليس هو نظام وظيفي من المؤسسات تلبي حاجات إنسانية فالوظيفة الإنسانية والإجتماعية لهذه المؤسسات هي التي تعطيها شبه شرعيتها وديمومتها.

يركز الوظيفيون نشاطهم على تحديد هوية وظائف العناصر الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والدينية والفنية. إن المبدأ الأساسي للإتجاه الأنتروبولوجي الوظيفي يتمثل في كونه لا يهتم بالبحث عن أصل الثقافة ولا كيف تنتشر الثقافات ولا غيرها من الموضوعات ، وإنما يهتم بدراسة ما يسمى ديناميات الثقافة أي كيف تعمل الأجزاء المختلفة التي تكون في مجموعها ثقافة ما، فهو يبحث في الوظائف التي تؤديها النظم المختلفة داخل الثقافة الواحدة، ويبين الوظائف التي تقوم بها السمات الثقافية ويدرس صلة هذه السمات بعضها ببعض وكيف تقوم كل منها بوظائفها.

أهم رواد النظرية الوظيفية "برانيسلو مالينوفسكي" الذي يؤكد من خلال نظريته الوظيفية و يركز على جانب تكيف المجتمع مع محيطه، أي أن الظواهر الإجتماعية الجزئية تؤدي وظائف جزئية معينة في إطار نسق من الظواهر لتبني وظيفة كلية وهي تكيف المجتمع مع محيطه، فالمؤسسات الإجتماعية كالمدرسة أو الجامعة تؤدي وظيفة جزئية وهي التربية والتعليم، وهذه الوظيفة تتكامل مع وظائف أخرى لتحقيق الوظيفة الكلية وهي تكيف المجتمع مع المحيط.

اعتبر مالينوفسكي من أكبر مؤسسي الأنتروبولوجيا العلمية وذلك من خلال الثورة التي قام بها في مجال البحث الميداني والتطبيقي فمعه أصبح الميدان بمثابة مخبر تتجلى من خلاله الحياة االإجتماعية للتجمعات المدروسة، وقد استعمل في ذلك نظام السؤال او ما يسمىLe

questionnaireلتكون نتائجه أكثر علمية. فبالنسبة إليه الباحث الحقيقي هو الذي ينطلق في عمله من خلال معطيات الواقع ليطور بعد ذلك من موهبته في الإبداع من خلال الملاحظة.

يشبه الوظيفيون الأنتروبولوجيون المجتمع بجسم الإنسان وأعضائه فهو، يتكون من مجموعة أعضاء والتي لا تحدد ماهيتها إلا بما تؤديه من وظائف مكملة لبعضها البعض وأن أي خلل يصيب عضوا من هذه الأعضاء أو عرقلة في تأدية وظيفة قد يؤثر في النظام العام والشامل لكل الأعضاء الأخرى وبالتالي يؤثر سلبا في الجسم ككل، فالمجتمع يقوم أصلا ويتكون من مجموعة من المظاهر والمؤسسات والممارسات والأنظمة، وبالتالي فإن كل هذه المظاهر والمؤسسات والأنظمة مرهونة من حيث الحركة والحضور ومن حيث الفعل والكينونة لما تؤديه من وظائف تكسب المجتمع بناء محكما ومنسجما من حيث التكوين ومن حيث الوظيفة والديناميكية الشاملة، يذكرنا هذا التشبيه الذي ربط به الوظيفيون المجتمع بالجسم الإنساني بذلك التشبيه الذي صنعه العلامة مالينوفسكي بين الثقافة والكائن الحي فالثقافة برأيه عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل يماثل الكائن الحي، بحيث أنه لايمكن فهم دور أو وظيفة أي عضو من أعضائه إلا في ضوء علاقته بباقي أعضاء الجسم، ومن خلال هذا التشابه بين الثقافة والكيان بباقي أعضاء الجسم للإنسان، فإن دراسة الدور والوظيفة التي يؤديها كل عنصر ثقافي تمكن الباحث من اكتشاف ماهيته وضرورته، فمفهموم الوظيفة في نظر مالينوفسكي يعني الدور او الإسهام الذي يقوم به كل نظام اجتماعي في مجتمع ما سواء كان هذا المجتمع مجتمعا بسيطا أم مجتمعا مركبا.

يبدو أن ما يميز الإتجاه الوظيفي هو نزول الباحثين إلى الميدان فالوظيفيون لا يؤرخون للعناصر الثقافيةوالإجتماعية ولا يبحثون في أصولها التاريخية ولا في منطق انتشارها وإنما يسعون إلى البحث في وظائفها وفي علاقتها مع بعضها البعض ضمن البناء الإجتماعي والثقافي الذي أوجدها وتطعم بحركتيها وبوظائفها

تيار البنيوية الأنثروبولوجية:

أما البنيوية على الطريقة الفرنسية والتي كان كلود ليفي ستروس (1908 –2009)رائدا لها فقد اختلفت عن البنيوية الوظيفية كما فهمت ومورست من قبل أوائل الوظيفيين وعلى رأسهم براون ومالينوفسكي، فقد سعى ليفي ستروس ومن منطلق نزعته الفلسفية إلى محاولة معرفة" الإنسان الكامل" بجميع أبعاده، لذلك نراه يقر بتنوع الثقافات وخصوصياتها، بما يدعو لمعاينتها في أشكالها المجزأة، وبهذا فقد انطلق ليفي ستروس في دراساته العديدة (الأنثروبولوجيا البنيوية – البنى الأولية للقرابة – العرق والتاريخ– مدارات حزينة .) من الاختلافات القائمة بين المجتمعات، هذه الاختلافات التي رأى أنها ذات طابع تكاملي، لهذا كانت

الأنتروبولوجيا بالنسبة إليه بمثابة علم الاختلافات المتكاملة التي تبحث عما هو جامع في الخصائص المشتركة بين كل المجتمعات.

يبحث الأنتروبولوجي وفقا لنظرة ليفي ستروس البنيوية عما يتخفى وراء العقل، أي عما وراء العقلي والشعوري، وعن الذي يتخفى خلف التنظيم المجتمعي، وخلف الممارسات والمعاش اليومي، فهناك شيء مشترك حسب ليفي ستروس نجده عند كل إنسان مهما كان أصله ومهما كانت ثقافته، وهو اللاوعي الجماعي للذهن البشري، إن الشيء الذي يريده ليفي ستروس بالذات هو البحث فيما وراء النظم والبنيات الظاهرة، في النفسيات الجماعية التي تحكم الجماعات بالذات[1].

يستعير ليفي ستروس من الألسنيين طريقة عملهم ليطبقها على المجتمع، فطريقة عمل الألسنيين كما نجدها عند دوسوسور وتروبتسكوي وجاكبسون تقوم على استخراج معنى الكلام من ذلك الاتساق الذي يحدث بين العناصر الصوتية (فونيمات)، فترتيب هذه الأجزاء أهم للفهم من تعقب تكوينها وتطورها التاريخي.

بهذه الطريقة يتم تطبيق " المنطق الألسني" على المجتمع في مجال الانتروبولوجيا وخاصة على بعض النظم الأساسية كنظام القرابة ونظام الأسطورة وهي الموضوعات المفضلة لدى ليفي ستروس، وبالإضافة إلى هذا نجد أن هناك تقاربا بين " الفونولوجيا"(علم وظائف الأصوات اللغوية) من جهة وبين مصطلحات وتسميات القرابة من جهة ثانية، فهذه التسميات تتشكل على مستوى اللاوعي من خلال استخدام أزواج تضادية وعناصر تفاضلية (أب – إبن–أخ – اخت، زوج– زوجة. .)، ويصل ليفي ستروس إلى إبراز أهمية الاتصال والتبادل في مجال الأنتروبولوجيا، فوجد أن هناك ثلاثة مستويات من التبادل، يتصل المستوى الأول بقواعد القرابة والزواج ويتصل المستوى الثاني بالقواعد الاقتصادية، أما المستوى الثالث فيتصل بالقواعد اللغوية.

النظرية الإنتشارية:

يعود أصل تسمية النظرية الإنتشارية أو الإتجاه الإنتشاري إلى طبيعة موضوعة ومقاصده المعرفية والمنهجية والإيديولوجية، فهو اتجاه أنتروبولوجي يعني بمتابعة النماذج والظواهر الثقافية والإجتماعية التي ظهرت في منطقة جغرافية وثقافية واجتماعية ومن ابداع شعب بعينه ثم انتشرت وشاعت متعدية حدود فضاء نشأتها الأصلي وذلك نتيجة تفاعل عدد من الأسباب الثقافية والسياسية والإقتصادية والدينية والإجتماعية،

[1] ستراوس كلود ليفي، **الإناسة البنيانية** ، مرجع سابق، ص 54.

ويرى أصحاب هدا الإتجاه أن الإتصال بين الجماعات والشعوب أدى إلى انتشار بعض السمات الثقافية، فعملية الإنتشار الثقافي تنطلق من مركز ثقافي إلى باقي المناطق كما أن الإنتشار يتم أيضا من خلال انتقال السمات الثقافية من جماعة سابقة إلى جماعة لاحقة[1].

وبصفة عامة فإن الإتجاه الأنتروبولوجي الإنتشاري يتابع الإنتشار الثقافي الذي يعني انتقال نظام أو نموذج ثقافي من مجتمع إلى آخر، وذلك كأن يستعير مجتمع من مجتمع آخر بعض نماذجه الثقافية أو أدواته أو نظمه يستخدمها في حياته بطريقة تتلائم مع ظروفه الإجتماعية وبيئته الطبيعية المحيطة، وقد يأخذ مجتمع ما بعض النماذج دون تحوير أو تغيير، أي يقوم باستخدامها كما هي .

ويقوم الإتجاه هنا على مبدأ هام، وهو أن النظم االجتماعية كثيرا ما تستعار أو تنقل من مكان إلى آخر، وبناء على ذلك فإن تشابه النظم الإجتماعية والعادات في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة لا ينشأ على نحو تلقائي وإنما ناتج عن التشابه في الإمكانيات الإجتماعية والطبيعية والإنسانية. إن النماذج الثقافية والإجتماعية والإقتصادية والدينية الحية تسافر من فضاء إلى فضاء آخر من مجتمع إلى مجتمع آخر ومن شعب إلى شعب آخر فتخرج من فضائها الأصلي لتقتحم فضاءا جديدا... وقد ينتج عن هذا السفر والإستقرار هناك فقدانها بعض الصفات والعناصر المكونة لها، واكتسابها صفات وعناصر جديدة تماشيا والإطار البشري والثقافي والإجتماعي الجديد... كما تنتقل من جيل إلى آخر، أي من الجيل المبدع على الجيل المقلد، لذلك يتكفل الباحث الأنتروبولوجي الإنتشاري بتتبع هذه النماذج المتنقلة ولنقل المنتشرة عبر عدد من المناطق فيسعى إلى تحديدها وتحديد مسار حركتها وانتشارها ومقارنة حاالتها في موطنها الأصلي ثم في موطنها الجديد مع قراءة لما تشيعه من دلالات وما ترمز إليه من أنماط فكرية للشعوب سواء المبدعة لهذه النماذج أم الشعوب المستقبلة لهذه النماذج والمتأثرة وكيفية التفاعل معها[2].

ولعل ما يمكن الإشارة إليه أن قنوات انتشار النماذج الثقافية عديدة ومتنوعة فمن عامل الجوار أي وجود مجتمعات متقاربة ومتجاورة تتأثر ببعضها البعض، إلى عامل السياحة حيث يسافر الأفراد عبر مناطق مختلفة محملين بنماذج ثقافية من ثقافتهم الأصلية كما يعودون إلى موطنهم الأصلي محملين بنماذج ثقافية من المجتمعات التي استقبلتهم وزائرين لها، إلى عامل الحروب والإستعمار وما يفرضه من نماذجه الثقافية على الشعوب التي يستعمرونها.

---

[1] أحمد الخشاب، **دراسات انتروبولوجية**.، مرجع سابق، ص 87.

[2] حسين شحاتة سعفان،**علم الإنسان الأنتربولوجيا**، مرجع سابق، ص 98.

وعليه يمكننا القول أن الإنتشار بصفة عامة، هو انتقال خاصيات النظام أو الظاهرة من منطقة إلى أخرى أو من قطاع إلى آخر، على أساس أداء الوظيفة وإشباع الحاجة، أما في التحليل الأنتروبولوجي، فإن الإنتشار يعني انتقال خاصيات النظم الثقافية من مجتمع إلى آخر أو من منطقة إلى أخرى عن طريق عملية الإتصال والإحتكاك بين الشعوب سواء عبر التجارة أو الحروب أو الإحتلال أو وسائل الإتصال الأخرى.

أما بالنسبة لمنهج البحث الذي اعتمده مدخل االإنتشار في التحليل الأنتروبولوجي للظواهر الإجتماعية من خلال تراث وأدبيات رواده فنجد عالم الإروبولوجيا "بواس" "Boas وتلاميذه قد أسهبوا في الحديث عن عملية التكامل الثقافي والذي يعني " ترابط السمات الثقافية بعضها مع بعض، وعندما تتغير إحدى السمات الثقافية يقتضي تغير كل السمات الثقافية الأخرى، وقد يختلف هذا حسب الظروف التي تشكل السمات الثقافية من جماعة إلى أخرى، ولذلك يجب دراسة هذه السمات المكونة له في علاقتها بعضها ببعض أكثر من أن تقارن بكل ثقافي آخر[1].

فالشيء الملفت للإنتباه في هذا التعريف لعملية التكامل الثقافي هو المكون المنهجي في التحليل الأنتروبولوجي، فالأداة المنهجية المناسبة – من منظور مدخل الإنتشار – هو استخدام الملاحظة والإستقراء وربط العناصر مع بعضها البعض للوصول إلى تعميمات صحيحة عوضا عن استخدام المنهج المقارن لرصد أوجه التشابه والإختلاف بين الثقافات في المجتمعات المختلفة، فما دام االإفتراض العام لمدخل الإنتشار هو أن للثقافة أصول واحدة وانتقلت إلى مناطق أخرى وتكاملت عناصرها، فهذا يعني أن المنهج الإستقرائي والدراسات الطولية هما المنهجان المناسبان في التحليل االأنتروبولوجي للثقافات. يعتمد فيهما على تتبع الأنماط الثقافية من أصولها الأولى ووصولا إلى امتداداتها ونهاياتها عبر المناطق المختلفة للعالم، ويكون بذلك المنهجان منسجمان مع مضمون وروح مدخل الإنتشار[2].

نقد النظرية الإنتشارية:

لم تسلم النظرية الإنتشارية من النقد ، ومن بين ما وجه لها من انتقادات هو تركيزها على تشابه شكل الثقافات المتمايزة دون النظر إلى ماتحمله من معان مختلفة، والتفسير الأحادي لعملية التغير والتطور الثقافي بإرجاعه إلى الإنتشار أو الإقتباس الناتج عن الإحتكاك بين الشعوب والمجتمعات دون الأخذ بالعوامل

[1] فتحية محمد إبراهيم: **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان**، مرجع سابق، ص 64.

[2] حسين شحاتة سعفان،**علم الإنسان الأنتربولوجيا**، مرجع سابق، ص 31.

الأخرى ، فضلا عن إهمالها لقدرة الإنسان على الإختراع في كل المجتمعات على حد سواء ، وقصر النظرية عن تقديم تفسير لكيفية انتقال العناصر الثقافية بين الشعوب والقبائل خاصة المتباعدة عن بعضها زمانيا أو مكانيا، وأخيرا تدعيمها لفكرة أفضلية الثقافة الغربية على باقي الثقافات[1].

[1] فتحية محمد إبراهيم، **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان**، مرجع سابق، ص 97.

المحاضرة الثانية عشر: التحقيق الميداني في الدراسة الأنتربولوجية

يعتبر التحقيق الميداني إحدى التقنيات و المقاربات التي ساعدت على تطوير الأنتربولوجيا في أمريكا فالأعمال التي قام بها فرانس بواس 1942 _ 1958 الذي يعد أستاذ الملاحظة المباشرة و المؤسس للأنتربولوجيا الأمريكية ، استطاع من خلال التحقيقات والدراسات الميدانية لمجتمعات الأسكيمو و الهنود في الشمال الغربي للولايات المتحدة الأمريكية أن يؤسس مرحلة جديدة من البحث و التي تتمثل في القيام بالدراسات المونوغرافية الكبيرة و التي أثرت فيما بعد على البحوث التي أنجزت من طرف مالينوفسكي في جزر التروبويند و فيرثFirthفي تيكوبيا و أعمال ميدانية أخرى[1].

فقد استطاع بواس أن يأتي بتقاليد خاصة في البحث أثرت على خصوصية البجث الأنتربولوحي و إثراء معرفته. فبالنسبة لبواس كل ثقافة تعد ظاهرة فريدة و خاصة.

و التحقيق الميداني هو السبيل الوحيد لدراسة هذه الخصوصية لثقافة المجتمع المدروس. و قد عملت هذه الخصوصية الثقافية على دفع باحثيين أنتربولوجيين إلى القيام بأبحاث و تحقيقات ميدانية للكشف عن مميزات الثقافة في هذه المجتمعات.

و من بين هؤلاء الأنتربولوجيين نذكر الذين يمثلون مدرسة الثقافة و الشخصية و يركزون في أبجاثهم على الخصوصية الثقافية لما لها من دور في تشكيل بعض النمادج و الأنماط التي تغرس في الأفراد ة تؤثر على مواقفهم و سلوكاتهم.

أما في فرنسا فقد استطاع موس و رغم غياب أعمال ميدانية حقيقية أن يكون جيلا من الباحثيين للقيام بالأبحاث الميدانية فاستطاع أن يعطي مفهوم جديد للظاهرة الإجتماعية على أنها ظاهرة ترتبط بظواهر أخرى ضمن نظام معين معتبرا الحياة الإجتماعية نظاما من العلاقات حيث أن كل جزء من أجزائه مرتبط ضمن كل متكامل.

فمن خلال هذه النظرة الشمولية للظاهرة الإجتماعية استطاع موس أن يوجه مسألة البحث في الدراسات الأنتربولوجية بصفة عامة

---

[1] مولاي الحاج مراد، **مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنتربولوجية**، واقع الملتقى الدولي: أي مستقبل للأنتربولوجيا في الجزائر المنعقد بتيميمون أيام 22،23،24نوفمبر 1999، تنسيق الأستاذ نذير معروف،منشورات المركز الوطني للبحث في الأنتربولوجيا الإجتماعية و الثقافية، وهران، 2002.

إن التحقيقات الميدانية في الدراسات الانتربولوجية تكمن أهميتها في جمع المعطيات انطلاقا و من الواقع المدروس مستهدفة فهم الخصائص الاجتماعية و الثقافية لهذا الواقع فمثلا مالينوفسكي يقدم لنا ثلاث مقاربات نستطيع من خلالها جمع أراء الأفراد لمحاولة معرفتهم و تتمثل هذه المقاربات في مايلي:

- ✓ وصف التشكيلة الاجتماعية.
- ✓ الاستعانة بأمثلة حية من الحياة اليومية.
- ✓ الاستشهاد بأراء الأفراد عن طريق تسجيل و تقديم ما يقولون .

فلا يجب على الأنتربولوجي حسب ماليينوفسكي أن يبقى ينتظر المعجزات و إنما عليه أن يكون فعالا يبحث عن المعلومات الخاصة بالأفراد و هذا عن طريق العيش معهم و تكلم لغتهم، أكيد ان الممارسة المنهجية في الدراسة الانتربولوجية يجب أن تكون مسلحة بخلفيات و معرفة نظرية و لكن لا يجب أن نتغافل عن سيرورة الواقع فلا ننظر إليه على أنه مجال ثابت و إنما على أنه في حركية دائمة.

مراحل التحقيق الميداني:

عادة ما يمر التحقيق الميداني بعدة [1]مراحل:

- ✓ الإعداد والتخطيط: تحديد موضوع البحث، مراجعة الأدبيات الموجودة، الحصول على الموافقات الأخلاقية، وتعلم اللغة.
- ✓ دخول الميدان: بناء علاقات أولية مع أفراد المجتمع، شرح الغرض من البحث، وكسب الثقة.
- ✓ جمع البيانات: استخدام الأساليب المناسبة لجمع المعلومات ذات الصلة بموضوع البحث.
- ✓ التحليل والتفسير: تنظيم البيانات وتحليلها وتفسيرها في ضوء النظريات الأنثروبولوجية والسياق الثقافي.
- ✓ الخروج من الميدان: إنهاء فترة الإقامة في الميدان بطريقة مسؤولة والحفاظ على العلاقات مع أفراد المجتمع.
- ✓ الكتابة والنشر: كتابة التقارير والتحليلات والمقالات والكتب لمشاركة نتائج البحث.

[1]مولاي الحاج مراد، **مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنتربولوجية**، مرجع سابق، ص 88.

التحديات والاعتبارات الأخلاقية في التحقيق الميداني:

يواجه الأنثروبولوجيون العديد من التحديات والاعتبارات الأخلاقية خلال التحقيق الميداني، بما في ذلك:

- ✓ الصدمة الثقافية :(Culture Shock) الشعور بالارتباك وعدم الراحة عند التواجد في ثقافة مختلفة.
- ✓ بناء الثقة والحفاظ عليها: قد يستغرق الأمر وقتًا وجهدًا لبناء الثقة مع أفراد المجتمع.
- ✓ التنقل بين دور الباحث والمشارك: إيجاد توازن بين الانغماس في الثقافة والحفاظ على مسافة تحليلية.
- ✓ التحيزات الذاتية: الوعي بتحيزات الباحث الخاصة وتأثيرها على جمع البيانات وتفسيرها.
- ✓ الموافقة المستنيرة والسرية: ضمان حصول المشاركين على معلومات كاملة عن البحث والموافقة على المشاركة طواعية، وحماية خصوصيتهم وسرية معلوماتهم.
- ✓ تأثير البحث على المجتمع: التفكير في الآثار المحتملة للبحث على المجتمع قيد الدراسة.

تقنيات البحث الميداني في الدراسة

إن الأعمال الميدانية من أجل الاقتراب من الخصائص الانتربولوجية لفئات المجتمع المدروس تفرض على الباحث أن يتسلح بتقنيات و مناهج علمية و من بين هذه التقنيات تقنية الملاحظة بالمشاركة و التي تعتبر الركيزة الاساسية للانتربولوجية الثقافية و الإجتماعية حيث تساعد هذه التقنية الباحث على معايشة حياة و نشاط الأفراد المدروسيين.

يحث كل من مالينوفسكي و ميد الباحث عل قضاء مدة طويلة في مجتمع الدراسة لمعرفة و كشف الخصائص الثقافية و الإجتماعية للمجتمع المدروس

كما ترى مادلين قراويتز أن الملاحظة بالمشاركة تعني أن يكون الملاحظ مشاركا أي يجب أن يكون مقبولا حتى يستطيع أن يندمج في الجماعة إلى حد أن ينسى دوره كملاحظ و لكن يبقى حاضرا كفرد ما و أكثر من ذلك فالملاحظة بالمشاركة لاتتطلب الشعور بالإنتماء إلى الجماعة المدروسة و إنما مشاركة هذه الجماعة في نشاطاتها اليومية.

يعرفها لاباساد بأنها طريقة يشارك فيها الباحث في الحياة اليومية للمجموعة الإجتماعية موضوع البحث فهده التقنية تلغي المسافة الفاصلة بين الباحث و موضوع البحث و هي بدلك تحول الباحث إلى فاعل لامجرد متفرج أو عنصر محايد

يستطيع الباحث بواسطة هذه التقنية الحصول على المعطيات التي تخدم الهدف العلمي لدراسته إلا أن البحث الميداني يؤدي بالباحث إلى أن يقوم بدورين قد يكون ملاحظا مشاركا أو يكون مشاركا ملاحظا و لكن أغلب الأبحاث الأنتربولوجية تعتمد على الدور الأول

و من القواعد التي يجب التقيد بها أثناء القيام بالتحقيق الميداني[1] ندكر:

- على الباحث أن يقضي وقتا كافيا في محيط الدراسة حتى يتمكن من خلق علاقات جيدة معهم و هذا يساعد على إبعاد كل الشكوك حول مهمته و مواجهة ما قد يواجهه باحث غريب عندما يدخل مجتمعا ما لأول مرة.
- كما عليه كذلك أن لايطرح كثيرا من الأسئلة على المبحوثيين بل يجب عليه أن يسمع لهم حتى يرتاحوا له و ينشأ نوع من الثقة بينه و بين مبحوثيه.
- كما يجب عليه أن يكون ملاحظا بارعا يعرف متى يطرح السؤال متى يقوم بتسجيل الملاحظات وغيرها
- يجب على الباحث أيضا أن يكون مستعدا للإجابة عن أسئلة المبحوثيين. و هكدا تسمح له الملاحظة بالمشاركة أن يقوم بجمع مختلف المعطيات و طرح أسئلة وجيهة باللغة المحلية كما تعمل هذه التقنية على التقليل من مشكل تغيير الأراء و التصريحات لذى المبحوثيين و تساعد على تفهم معنى ملاحظة الباحث. إلا أن دراسة مجتمع ما تشترط من الملاحظ أن يتعلم لغة المبحوثيين و هذا لتفادي عدم الفهم لمعاني الكلمات و العبارات و هذا من شأنه أن يؤدي إلى الفهم و التأويل الخطأ فمثلا يقول ديريك و بعد مرور خمسين سنة عن دراسة ميد بأن هذه الباحثة خدعت من طرف مبحوثييها لأنها لم تكن تعرف اللغة.
- و تتطلب الملاحظة بالمشاركة من الباحث أن يتصف بالموضوعية فلا يتأثر بالأحداث حتى لاينسى الدور الذي جاء من أجله، و أن يضع أفكاره و أيدبولوجياته جانبا.

---

[1] آنجرس موريس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية (تدريبات علمية)**، ترجمة: صحراوي بوزيد وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

إن الإلتزام بهذه القواعد أثناء التحقيق الميداني تساهم في إثراء البحث الأنتربولوجي بمعلومات قد لا يستطيع الباحث الحصول عليها بسهولة من الميدان المدروس.

فالملاحظة بالمشاركة تقنية أساسية للكشف عن حقيقة وواقع الفئات الإجتماعية للجماعة المدروسة إلا أن هذه التقنية بحاجة إلى تقنيات مكملة مثل المقابلة غير الموجهة و البيوغرافيا و غيرها التي من خلالها يستطيع الباحث الأنتربولوجي الإلمام بكل جوانب الظاهرة المدروسة.

المقابلة:

يمكننا تعريف المقابلة كما تستخدم في البحث الإجتماعي بأنها المحادثة التي يبدأ بها الباجث أو القائم بالمقابلة بغرض الحصول على بيانات مهمة للبحث و يعرفها باحثون اخرون بأنها الحصول على بيانات عن طريق المحادثة التي يقوم بها القائم بالمقابلة مع شخص أو أشخاص اخريين لغرض البحث أو المساعدة في التشخيص أو العلاج و المقابلة تختلف عن المحادثة الاعتيادية من حيث كونها مخطط لها لكي تنجز أو تحقق غرض معين،

يعرفها "بنجهام bingham " المقابلة بأنها المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها، وأما بولين يونج فيعتبر أن المقابلة هي طريقة منظمة يتمكن من خلالها الفرد أن يسبر حياة فرد أخر غير معروف له نسبيا، ويرى"بياتريس ويب" المقابلة بالنسبة للباحث الاجتماعي في الاستقصاء والبحث تعادل أنبوبة الاختبار التي يستخدمها الكيميائي في معمله والميكروسكوب الذي يتخذه البكتريولوجي في اكتشافاته[1].

وخلاصة القول أن المقابلة هي:

موقف للتفاعل الاجتماعي اللفظي تهدف إلى استثارة معلومات محددة ، ويستخدم فيها جانب التبادل اللفظي الإيماءات، السلوك، الشكل العام تعبيرات الوجه والعين، وهي تتكون من ثلاثة عناصر "الباحث" و"المبحوث" "والموقف الخاص بالمقابلة " والتي تستخدم كمصدر للحصول على بيانات من الأفراد المبحوثين التي يمكن من خلالها معرفة المعتقد الذي وراء السلوك وكل جوانبه التي يصعب لنا معرفتها من خلال التقنية الأولى (الملاحظة بالمعايشة).

[1] Bernard, H. Russell, **Research Methods in Anthropology**, Qualitative and Quantitative Approaches, 6th ed, Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2017, P 123.

وتساهم المقابلة في فهم معاني ووظائف الأشكال الثقافية المحلية والسمات الثقافية للمجتمع وتتم المقابلات من خلال خطة لتحديد أنماط السلوك اليومي أو التي تحدث على مدى فترات زمنية معينة، وفيها يستفسر الباحث عن أنماط السلوك الثقافي الذي يلاحظة.

فالدافع لاستخدام المقابلة أثناء البحث الأنتربولوجي الميداني هو السعي لمعرفة وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة و المقابلة أنواع فهناك المقابلة الموجهة و مقابلة غير موجهة و ينصح المختصون في مجال الأنتربولوجيا باعتماد النوع الثاني ذلك لأنه يعطي الحرية الكاملة للمبحوث للإدلاء بأرائه حول الموضوعات المستفسر عنها[1].

سيرة الحياة:

لقد عرف البعض على أن سيرة الحياة تقنية من تقنيات جمع البيانات ونعني بسيرة الحياة القصة الشفهية المتعلقة بالسيرة الذاتية للمبحوث أو قصة حياته المكتوبة بقلمه وهنا لابد من الإشارة إلى أن مدخل قصة الحياة يستهدف عموما الحصول على وصف دقيق وصحيح لمسارات حياة المبحوثين في السياق الاجتماعي وذلك لكشف عن أنماط العلاقات الاجتماعية والعمليات التي تشكل هذه العلاقات ويستمر العمل بهذه الطريقة حتى يتم الوصول إلى نقطة التشبع وهي النقطة التي يتم عندها الحصول على القدر الكافي من المعلومات[2].

ولقد كان سجل الدارسات الأنثروبولوجية حافل بمنهج سيرة الحياة لان خلف كل قصة أو سيرة ذاتية نقرؤها عن جماعة معينة أو مجتمع معين يوجد باحث انثربولوجي قد قام بجمع الحقائق وعاينها حتى وصلت إلينا.

الإخباريون:

الإخباريون هم الأشخاص العارفون ب النشاط أو الحدث أو القضية موضوع البحث و تحديد فئة الإخباريين من قبل الباحث يرجع بدرجة كبيرة إلى نوعية الدراسة أو البحث

إن نجاح الدراسة الحقلية يتوقف إلى حد بعيد على حسن اختيار الإخباريين، فهم يمثلون حلقة الاتصال بين الباحث و مجتمع الدراسة طيلة فترة الدراسة، ويجب تكوين معهم صداقة وثقة متبادلة. والتعاون معهم،

---

[1] Hastrup, Kirsten. Getting It Right, **A Social Scientist's Guide to Fieldwork**, London, Pluto Press 2004, P 256.

[2] Emerson, Robert M., Rachel I. Fretz, and Linda L. Shaw. **Writing Ethnographic Fieldnotes**, 2nd ed. Chicago: University of Chicago Press, 2011, P 156.

وتسمى هذه الفئة المختارة من أفراد المجتمع بالإخباريين أو الإبلاغيين لأن لهم معرفة بالمجتمع و أحواله ، ولقد بين علماء الانثربولوجين و الاثنولوجيين و الاثنوغرافيين أهم الصفات والشروط التي يجب أن يكون عليها الإخباري وأساس اختياره لأنه يعتبر من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحث[1]

أهمية الإخباريين في الأنثروبولوجيا:

مصدر أساسي للمعلومات: يقدم الإخباريون معلومات مباشرة حول ممارساتهم ومعتقداتهم وتجاربهم، مما يوفر بيانات إثنوغرافية غنية لا يمكن الحصول عليها من خلال الملاحظة وحدها.

فهم وجهة نظر المجتمع من الداخل: يساعد الإخباريون الباحث على فهم المعاني والتفسيرات الثقافية للأحداث والسلوكيات من منظور أعضاء المجتمع نفسه.

- ✓ توجيه الباحث في البحث الميداني: يمكن للإخباريين مساعدة الباحث في التعرف على الأشخاص الرئيسيين في المجتمع، وفهم العلاقات الاجتماعية، وتحديد المواقع الهامة، وتجنب الحساسيات الثقافية.
- ✓ بناء الثقة والعلاقة: من خلال العمل عن كثب مع الإخباريين، يتمكن الباحث من بناء علاقة ثقة واحترام متبادل، مما يشجع الآخرين في المجتمع على التعاون وتقديم المعلومات.

كيفية اختيار الإخباريين:

يختار الباحث الأنثروبولوجي الإخباريين بعناية بناءً على عدة عوامل، منها:

- ✓ المعرفة والخبرة: يجب أن يكون الإخباري مطلعًا على جوانب الثقافة التي يهتم بها الباحث ولديه خبرة فيها.
- ✓ القدرة على التواصل: يجب أن يكون الإخباري قادرًا على التعبير عن أفكاره وخبراته بوضوح.
- ✓ الاستعداد للتعاون: يجب أن يكون الإخباري راغبًا في تخصيص وقته وجهده لمساعدة الباحث.
- ✓ التنوع في الخلفيات: من المفيد اختيار إخباريين من خلفيات اجتماعية مختلفة (مثل العمر والجنس والمهنة والمكانة الاجتماعية) للحصول على رؤى متنوعة.

[1] عمار يزلي، **الجزائر و الانتربولوجيا**، المناهج و الموضوعات، ورقة بحث مقدمة ضمن أشغال الملتقى الوطني حول علم الإجتماع و المجتمع الجزائري، تحرير عبد القادر لقجع،دار القصبة للنشر، الجزائر،1999 .

باختصار، يُعد الإخباريون حجر الزاوية في البحث الأنثروبولوجي الكيفي، حيث يساهمون بشكل كبير في فهم الثقافات من الداخل وتوفير بيانات غنية وأصيلة.

فالإبلاغي في حقيقة الأمر نشأ في وسط بيئة مجتمع البحث يعرف قواعد وعادات وأعراف والمعايير الدينية والممارسات السلوكية للمجتمع، ويعتبر كترسانة واحتياط لمعرفة ثقافة المجتمع الذي نشأ فيه ولذلك على الباحث أن يطرح عدة أسئلة ليس على فرد واحد من الإخباريين بل على عدة أفراد لتأكد من مدى صحة المعلومات من إخباري إلى أخر.

المحاضرة الثالثة عشر: مناهج البحث الأنثروبولوجي

حاولت الأنتروبولوجيا كغيرها من العلوم الإجتماعية من خلال مسيرتها الوصول إلى معرفة دقيقة مبنية على منهج علمي في دراسة وتحليل الشعوب والثقافات عبر مختلف أنحاء العالم. ومن خلال مختلف النظريات الأنتروبولوجية يلاحظ مدى التنوع في مناهج البحث ، لذا فإننا نجد في الدراسات الأنتروبولوجية معظم أنواع مناهج العلوم الإجتماعية من تاريخي إلى وصفي إلى تحليلي ومقارن.

و يعرف المنهج بأنه " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكـون بها جاهلين وإما من أجـل البرهنة عليها للأخرين حين نكون بها عارفين" فالمنهج إذن هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة وللإجابة على الأسئلة والإستفسارات التي يثيرها موضوع البحث ، وهو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى تلك الحقائق وطرق اكتشافها[1].

فإذا أجري البحث على مجموعة من البشر في الماضي البعيد أو القريب فسيتم تطبيق المنهج التاريخي و أما إذا أجريت الدراسة على مجموعتين من البشر أحدهما ضابطة والأخرى تجريبية فيكون المنهج التجريبي هو الأفضل للقيام بهذه الدراسة و أما إذا كانت الإشكالية أو الهدف من الدراسة هو وصف نظام ما (ديني،اجتماعي كالقرابة، الزواج ...) في مجتمع معين فالمنهج الوصفي هنا يعد المنهج الأساسي المناسب لمثل هذه الدراسة[2].

وفي استخدامنا لأي نوع من أنواع المناهج نحتاج لطرق ولأدوات جمع المعطيات التي نقوم بتحليلها للإجابة على الأسئلة المطروحة. وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن استخدام أكثر من منهج في دراسة واحدة كما يمكن استخدام أكثر من طريقة، و المعروف أن تعدد المناهج و الطرق عادة مايزيد من قيمة الدراسة. و تعتمد الدراسات الأنتروبولوجية على عدة مناهج وأساليب خاصة في إجراء البحوث والدراسات الأنتروبولوجية و هي[3]:

---

[1] مولاي الحاج مراد، **مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنتربولوجية**، مرجع سابق، ص 98.

[2] أنجرس موريس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية (تدريبات علمية)**، مرجع سابق، ص 98.

[3] مولاي الحاج مراد، **مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنتربولوجية**، مرجع سابق، ص 132.

- **المنهج التاريخي:**

في علم الإنسان يؤكد أصحاب المدرسة التاريخية على أهمية مفهوم التاريخ الثقافي الذي يكتسب معناه الحقيقي ودلالته الحقيقية في ضوء علم المناهج ، وتنقسم المناهج في هذا الصدد إلى قسمين قسم أنتروبولوجي وقسم وضعي تاريخي. أما القسم الأنتروبولوجي فهو يعطينا المداخل التي يمكن بواسطتها الكشف عن اعتبارات الزمان وصياغتها في تصورات ثقافية محددة ، أما القسم التاريخي فهو الوسيلة التي بواسطتها ستصبح تلك النتائج منظورات تاريخية صادقة ومفيدة بالنسبة للشعوب التي تدرس والنتاج النهائي لذلك كله هو التاريخ الثقافي.

وتحتل الثقافة في الأنتروبولوجيا مكانة رئيسية ويعد البحث التاريخي للثقافة مطلبا هاما وحيويا بالنسبة للأنتروبولوجيا ، ويعكس هذا الإهتمام دراسة نشأة الثقافة وتطورها وأصولها وإعادة بناء تاريخ الثقافة ، وتقوم هذه الدراسة على أساس دراسة توزيع الخصائص الثقافية وتحليلها ثم التحقق من مدى إمكانية حدوث احتكاكات واتصالات بين الوحدات الثقافية ، بل يمكن أن تكشف أيضا التتابع الزمني الذي ظهرت فيه هذه الإحتكاكات والإتصالات.

ويعتمد علماء الأنتروبولوجيا والمهتمين بتاريخ الشعوب على ثلاث مصادر رئيسية هي الوثائق المكتوبة والتراث الشفهي والبحث الحقلي.

- **المنهج الوصفي:**

يعد المنهج الوصفي من المناهج العامة في الأنتروبولوجيا ، ويقصد به الطريقة المنتظمة لدراسة حقائق راهنة متعلقة بظاهرة أو موقف أو أفراد وأحداث أو أوضاع معينة في المجتمع بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقق من صحة حقائق قديمة وآثارها والعلاقات التي تتصل بها و تفسيرها وكشف الجوانب التي تحكمها.

ويهدف المنهج الوصفي إلى وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها وإلقاء الضوء على جوانبها المختلفة وجمع البيانات اللازمة عنها مع فهمها وتحليلها من أجل الوصول إلى المبادىء والقوانين المتصلة بظواهر الحياة والعمليات الإجتماعية الأساسية والسلوكيات الإنسانية. وغالبا ما يخرج فيها الباحث الأنتروبولوجي بمبادىء عامة عن البناءات والتنظيمات الإجتماعية والتغير الثقافي أو عملية الإقتباس ..و غيرها. .

- **المنهج المقارن:**

يكتسب المنهج المقارن دلالة خاصة في البحث الأنتروبولوجي ، حيث يقصد به عادة دراسة توزيع الظواهر الإجتماعية في مجتمعات مختلفة أو أنماط محددة من المجتمعات ، وكذلك مقارنة النظم الإجتماعية الرئيسية من حيث استمرارها وتطورها والتغير الذي يطرأ عليها أو حتى مقارنة مجتمعات بعضها ببعض.

أما عن مجالات البحث المقارن في الأنتروبولوجيا فهي تتلخص في ما يلي:

- ✓ دراسة أوجه الشبه والإختلاف بين الأنماط الرئيسية للسلوك الإجتماعي.
- ✓ دراسة نمو وتطور مختلف أنماط الشخصية والإتجاهات السيكولوجية والإجتماعية في مجتمعات مختلفة وثقافات متعددة.
- ✓ دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات السياسية والصناعية والمهنية في مجتمعات مختلفة.
- ✓ دراسة النظم الإجتماعية كنظم الزواج والأسرة والقرابة، ثم دراسة الأنساق الثقافية مثل المعتقدات الدينية ودراسة العمليات التي تطرأ على المجتمع مثل التحضر والديمقراطية ودراسة النظم الفرعية مثل العادات والفلكلور.
- ✓ تحليل ومقارنة مجتمعات بأكملها ، فعادة ما تتم المقارنة بين المجتمعات وفقا للنمط الرئيسي السائد للنظم الإجتماعية والثقافية الموجود فيها.

- **المنهج البنائي الوظيفي:**

بعد أن تطورت الأنتروبولوجيا في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ظهرت اتجاهات جديدة تحاول أن تتجنب الصعوبات والمشكلات التي صاحبت استخدام وتطبيق المنهج المقارن تطبيقا تقليديا ، وبذلك ظهر ما يعرف الأن في الدراسات الأنتروبولوجية باسم " الإتجاه الوظيفي " الذي أخذ أصحابه يؤكدون على أنهم يدرسون الظواهر في إطارها الكلي.

حاول المنهج البنائي الوظيفي المزاوجة بين المنهج المقارن والإتجاه الوظيفي في الدراسات والبحوث الأنتروبولوجية حتى يتمكن من دراسة الظواهر الإجتماعية من سياقها الكلي من ناحية والتعرف على الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام من النظم الإجتماعية من ناحية أخرى لمعرفة طبيعة البناء الإجتماعي للمجتمع ككل.

وحتى تتضح صورة هذا المنهج نعطي مثال لتلك الدراسة الأنتروبولوجية الحقلية الشهيرة التي قام بها مالينوفسكي حين استخدم المنهج البنائي الوظيفي في دراسة النشاط الإقتصادي الذي يمارسه سكان جزر التروبرياند والذي يعرف بنظام الكول system kual ، حيث يدخل سكان هذه الجزر مع بعض سكان الجزر المجاورة في نوع من التحالف أو الإتفاق بهدف تبادل أشياء وسلع معينة تتألف من " عقود " طويلة من الصدف الأحمر و " أساور " من الصدف الأبيض، ويتألف نسق التبادل في أن العقود تنتقل من مجتمع لأخر في اتجاه واحد لا يتغير في محيط الدائرة التي تنظم تلك الجزر بينما تنتقل الأساور في الإتجاه المضاد، وهذه السلع لاتحمل قيمة عملية على الإطلاق بقدر ما لها من قيمة شعائرية وطقوسية كما أنها تتصل اتصال وثيقا بالمركز الذي يحتله الفرد في المجتمع[1].

[1] الزواوي بغورة، **المنهج البنيوي**، بحث في الأصول و المبادئ و التطبيقات، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2001، ص 187.

المحاضرة الرابعة عشر: الدراسات الأنتروبولوجية في الجزائر قبل الإستقلال:

ظهرت الأنتروبولوجيا بالجزائر مع الإستعمار الفرنسي، إذ سخرتها المنظومة الكولونيالية الفرنسية من أجل استعمار البلاد وبسط نفوذها والسيطرة على خيراتها ، حيث دفعت لهذه المهمة بعدد من الإداريين والعسكريين في البداية ، وكذا بعض الأنتروبولوجيين من أجل دراسة ثقافة المجتمع الجزائري وعاداته ومعتقداته ولغته وأعرافه وطريقة عيشه وتدينه ، والتنقيب في تركيبته الإجتماعية والثقافية وبنياته الدينية والإقتصادية وتقديم كل هذه المادة للإدارة لإستغلالها وتوظيفها من أجل التحضير لاستراتيجية استعمارية تتماشى وأهدافها في تفتيت البنى والروابط الإجتماعية للشعب الجزائري من جهة ، ثم السيطرة على مقدراته وإبقاء النظام الإستعماري بعد ذلك[1].

لابد من" الإعتراف أنه توجد أعمال ضخمة أنارت لوقت طويل أجيال من الدارسين، مثل : ج سارفيي Servie.J، تيون Tillon.G ، أ.مسكيراي E P.Bordieu. بورديو ، J.Berqueبيرك ، E.laoust، الوست، Mesgueray و غيرهم[2].

فقد أوجد ج .سارفيي من خلال أعماله امتدادات عالمية للحضارة الزراعية في المغرب ، واستطاعت ج . تيون كشف ما هو أكثر ديمومة في بناء العائلة والقبيلة ، والمقصود هنا هو الزواج الداخلي.

وكذلك ما قام به البعض في مجال جمع التراث الشعبي الأدبي، خصوصا منه الشعر الملحون. فالمعرفة العلمية للجزائر كما وصفها لوكاس – lucas وفاتان vatin كانت قبل كل شيء وظيفة الإحتلال و بدأت مع العسكريين وبهم.

ويشير صاحب كتاب " جزائر الأنتروبولوجيين " إلى أن الإكتشاف العلمي للجزائري هو إذن قبل كل شيء متوقف على الإحتلال، وقد شرع فيه حقا بواسطة العسكريين . وقد تم جمع معطيات في قرابة أربعين مجلدا

---

[1] بن عيسى، عبد القادر، **حول الأنثروبولوجيا في الجزائر: قراءة في الواقع والتحديات.**، مجلة الباحث للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 2015، ص45.

[2] جيرار لكلرك، **الأنتربولوجيا و الإستعمار**، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراساتو النشر و التوزيع، ط2، بيروت، 1990، ص 135.

بين 1844 و 1867 على شكل تحريات ، وقد اضطلع العسكريون بنصيبهم في هذا التحري وكان على رأسهم كاريت وبولوسيي[1].pelissier et carette .

ويذهب المؤرخ الفرنسي شارل أندير جوليان– في هذا الصدد إلى أنه وإلى غاية سنة 1847 لم يكن بين أيدي السلطة المحتلة في الجزائر سوى تقريرين رسميين كان يمثلان أهم ما يمكن معرفته عن الجزائر.

ويذهب بلقاسم بن زنين[2] الذي قدم قراءة قيمة لكتاب " جزائر الأنتروبولوجيين " إلى أنه وبغض النظر عن بعض أعمال العسكريين التي كانت عبارة عن مذكرات لم توجه بشكل مباشر لخدمة الإستعمار، فقد كان من أول ثمار أعمال العسكريين كتاب الضابط Merle وعنوانه " طرق تاريخية وسياسية للإفادة في تاريخ غزو الجزائر سنة 1830 " طبع سنة 1831 ثم أعيد طبعه سنة 1832 ، وكتاب آخر للنقيب روزتRozet الذي كان في نفس الوقت جغرافيا " رحلة إلى مدينة الجزائر أو وصف بلد محتل من طرف الإستعمار الفرنسي في إفريقيا " طبع في 1833 . والملاحظ من هذه الكتابات الأولى أنها كانت مقتصرة على مدينة الجزائر، ثم سرعان ما توسعت فيما بعد لتشمل المناطق المجاورة خاصة متيجة ثم منطقة القبائل في مرحلة لاحقة باعتبارها تمثل خصوصية ثقافية متميزة وتنظيما اجتماعيا مغايرا لما وجده الفرنسيون في الجزائر العاصمة.

إن الكتابات الأنتروبولوجية للعسكريين الفرنسيين حول المجتمع الجزائري لم تكن في أغلبها سوى أوصاف انطباعية عادة ما اتسمت بالسطحية والسذاجة فقد تم بين سنوات 1844 و 1867 وضع ما يقارب الأربعين مجلدا، جمع أغلبه العسكريون، وشاركهم جمعها غيرهم من الإثنولوجيين والأنتروبولوجيين، والمهتمين بالأنماط الثقافية المحلية، قدمت صورة مختلفة الأبعاد متشعبة زوايا النظر عن إنسان شمال إفريقيا العربي أو البربري.

كما أن حوليات بوليسيي ورينو الجزائرية Les annales algeriennes كانت تمثل الإحصائيات الأولى المنتظمة التي بفضلها يمكن استقاء المعلومات وصياغة استراتيجية هيمنة الدولة الإستعمارية.

---

[1] جمال معتوق، **واقع و أفاق علم الإجتماع في المغرب العربي**، الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة، قسم علم الإجتماع، الجزائر، 2000، ص 197.

[2] بلقاسم بن زنين، **الجزائر في الفكر الأنتربولوجي**، رسالة ماجستير في الأنتربولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الأدابو العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان،2000–2001، ص 233.

ظهرت أنتروبولوجيا القطيعة كاتجاه ضد الأنتروبولوجيا الإنقسامية في كل مبادئها،لأنها اكتشفت أن المجتمع الجزائري هو مجتمع لا يمكن تطبيق عليه الإنقسامية القبلية، وهو ليس بمعزل عن الحداثة وعن التفكير، وقد مثله أنتروبولوجيون أمثال جاك بيرك Berque.J وبيار بورديو Bourdieu.P وجرمين تيون Tillion.G وغيرهم[1].

و أهم أساس لأنتروبولوجيا القطيعة هي دراسة المجتمع المغاربي والجزائري بالخصوص بطريقة حيادية دون الحكم عليه ، وكذا نفي تبعيته للإستعمار، حيث يقول" جين موزيه Mouzet.J "في كتابه "Lalgerie الجزائر البدوية التي كانت فيما سبق قوية جدا لم تعد موجودة ، أو على الأقل لم تعد لها أي أهمية، الجزائر الأن حضرية بنسبة 95 ، % التصنيف القديم بين البدو والحضر لم تعد له أية أهمية أيضا تماما مثل التصنيف الجزائر التقليدية والجزائر المتطورة، في الواقع من الظاهر أن الجزائر التي يقال عنها تقليدية هي التي تغيرت بها ظروف العيش أكثر وعكس ذلك الجزائر التي يقال عنها متطورة هي التي ينبعث فيها الماضي بكل قوة في بعض الأحيان."Kabylis

من هذا القول يتبين أن نظرة المفكر " جين موزيه" في أنتروبولوجيا القطيعة ركزت على الإزدواجية المتداخلة بين التقاليد والحداثة، وأن المجتمع رغم حالة الإستعمار التي يعيشها هو في حالة من الحداثة تتضمن في كنف التقاليد والتي تظهر في النظرة السابقة أنها ضعيفة إلا أنها قوية[2].

من هنا جاءت الدراسات الأنتروبولوجية لتركز على المواضيع الدالة على قوة التقاليد مثل أهمية الشرف عند القبائل، الكرامة، التضامن القبلي، المرأة ومكانتها، هذه القيم كلها تساهم في خلق االنسجام داخل الجماعات والقبائل وتعبر عن الثقافة والحياة الإجتماعية.

-ألفرد بل ودراسته لمساجد بني سنوس بتلمسان:

يعتبر محمد حمداوي دراسة " ألفرد بل " دراسة قيمة بما تحمله من وصف دقيق لمساجدها ولسكان المنطقة غير أنها بحكم أنها كانت موجهة للسلطة الفرنسية الإستعمارية وإن كانت نوايا " بل "حسنة وغرضه المحافظة على المساجد الأثرية والعتيقة والمحافظة عليها بترميميها، إلا أن السلطة الإستعمارية تجاهلتها، ولكن في نفس الوقت استغلت دراسة " ألفرد بل " لتسهيل التحكم في المساجد بتعيين أئمة رسميين يقومون بممارسات

[1] Balandier G, **Sociologie actuelle de l'Afrique Noire**, Paris, PUF, 1955, P90.

[2] Germaine Tillion, **Il était une fois l'ethnographie**, Éditions du Seuil, 2000, P 35.

سلبية كسرقة أموال الوقف ، وهذا ما يشير إليه ألفرد بل بقوله : " يجب الإعتراف بأن هذه المصلحة (الحبوس) التي يسهر عليها المسلمون، لم يكن يعهد بها دائما إلى موظفين منضبطين ونزهاء و أنه عادة ما كانت أموال الحبوس تختلس من طرف الموظفين المسلمين الذين كانت وأنهتوكل إليهم مهمة حفظها. " ولكن ما يعاب عليه أنه أطلق حكما عاما وشاملا ولم يستثن بوجود أئمة آخرين نزهاء وشرفاء. وبالتالي تعتبر دراسة " بل " ذات قيمة علمية إلا أنها بحكم ارتباطها بالإستعمار جعل المفكرين الأخرين ينظرون إليها نظرة سلبية إن لم نقل إهمالها.

-بيار بورديو ودراسته للمجتمع القبائلي:

يمثل بورديو أحد رواد اتجاه القطيعة في الأنتروبولوجيا، استطاع التغلب على التعارض والجدل الدائر حول العلاقة بين البناء والفعل و انشغاله بالعمل الإمبريقي التطبيقي المنتظم، والإستناد إلى الإثنوغرافيا وأساليب المسح الإجتماعي والتنظير النقدي ، بالإضافة إلى قطيعته مع المعرفة الإستعمارية وهذا ما يميزه عن ألفرد بل حيث أن بحوث ألفرد بل كانت موجهة أما بورديو فقد كانت دراسته حول القيم القبائلية كالشرف علمية وموضوعية .وقد وظف من خلال دراسته الميدانية واستنتج مفهوم" الرأسمال الثقافي والرأسمال الرمزي"، وقد ركز عليه بورديو باعتباره قابل للتحول إلى رأسمال مادي أو اقتصادي، وهذه السمة في رأيه عامة في كل المجتمعات البدائية والحديثة على السواء ولا يوجد مجتمع بدونها[1].

وبناء على ذلك فإن الرأسمال الثقافي هو أنساق رمزية وهو موضوع صراع بين القوى الإجتماعية المختلفة ، وهدف كل قوة اجتماعية في صراعها الإجتماعي إلى الهيمنة على حقل الثقافة وإنتاج وتوزيع رأسمال الثقافي فيه وذلك بغية احتكار العنف الثقافي في المجتمع أي احتكار قدرة فرض معاني ومبادئ بناء الوقائع الإجتماعية وفق مصالح هذه القوة الإجتماعية و تحويل ما تمتلكه من رأسمال مادي إلى رأسمال ثقافي كغطاء مقبول ومشروع تحمي به مصالحها الإقتصادية. ومثال ذلك الرجل الذي يتمتع بالسمعة والحسب والنسب يستطيع أن يذهب إلى السوق بلا مال ويأتي معه بأشياء من السوق معتمدا على اسمه وسمعته وجاهه.

[1] ADDI, L., **Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu**, Le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théoriques, Paris, La Découverte, 2002, p239.

ومنه فإن دراسة كل من ألفرد بل وبيار بورديو وإن اختلف موضوعها إلا أنهما يختلفان من حيث الإيديولوجية التي كانت تتحكم في دراستهما ، فإيديولوجية " بل " كانت موجهة من قبل الإستعمار، رغم علميتها، وبورديو كانت في قطيعة مع الإستعمار و إيديولوجيته مما جعلها أكثر علمية من دراسة ألفرد بل[1]

الأنتربولوجيا في الجزائر بعد الإستعمار:

في مقال لعبد الرحمن موساوي بعنوان La pratique de l'anthropologie en algerie [2]يرى بأنه إذا كان علم الإجتماع قد تم تبنيه منذ الإستقلال من قبل الجامعة الجزائرية تحت غاية وضعه مشروع المجتمع، فإن الأنتربولوجيا لم تعرف نفس الإهتمام أبدا، متهمة أنها خدمت المشروع الإستعماري فهي قد عاشت نكسة رسمية منذ المؤتمر الخامس و العشرين لعلم الاجتماع الذي انعقد سنة 1974 في العاصمة الجزائرية،

يبدو أن الأنتربولوجيا لم تحقق لنفسها مكانة في حقل العلوم الاجتماعية بالجزائر بعد الاستقلال و يعزو العديد من الدراسيين ذلك إلى عدة عوامل أوجزها محمد صالحي كمايلي:

أولا: أقتران علم الأنتربولوجيا بالإستعمار:

ففكرة اقتران الأنتربولوجيا بالتوجه الإستعماري تعد من ضمن العوامل الأساسية التي أسهمت في تأخر اعتماد الانتربولوجيا كتخصص علمي ضمن المنظومة التعليمية في الجامعة الجزائرية،

يرى محمد سعيدي بأن الحديث عن الأنتربولوجيا في الجزائر غداة الاستقلال اقترن و بصورة رهيبة بأسئلة حرجة و وصعبة وخطيرة، كادت أن تعصف بالكيان العلمي والمعرفي للأنثروبولوجيا نفسها كعلم أصيل وعريق، وبالتراث الشعبي الذي ظل موضوع مراهنات غير مسؤولة وغير علمية ظلت تلاحقه مدة من الزمن... إن الأنثروبولوجيا قد ارتبطت في المخيال المعرفي الرسمي الجزائري ما بعد الاستقلال بأنها علم استعماري بامتياز، سخّرته المنظومة الكولونيالية الفرنسية منذ أول عهدها بالجزائر، وما قبل هذه المرحلة بقليل، من أجل استعمار البلاد حيث دفعت لهذه المهمة بعدد من الإداريين ورجال الدين ورجال الجيش، وكذا

---

[1] BELHACHEMI F, **Nouvelle interprétation du processus du peuplement dans le massif du Hoggar à partir des géographes arabes**, Revue de géographie alpine, vol. LXXXIX, n° 1, numéro spécial Montagnes du Sahara, juin 1991, p 55.

[2] Abderrahman Moussaoui, **La pratique de l'anthropologie en Algérie**, casbah edition, alger, 1998, P70.

بعض الانثروبولوجيين والاثنولوجيين والاثنوغرافيين، من أجل دراسة المجتمع الجزائري وثقافته وعاداته ومعتقداته وفنونه وأشكاله التعبيرية وأعرافه. وتقديم كل هذه المادة للإدارة لاستغلالها واستثمارها من أجل معرفة الشعب الجزائري والتحضير لاستراتيجية استعمارية تتماشى وأنماط تفكيره. لقد شكلت الجزائر، مجتمعاً وثقافة، موضوعاً خصباً لهذه الدراسات الانثروبولوجية التي اتجهت في معظمها اتجاهاً استعمارياً[1].

ومن هذا المنطلق، رسخ في ذهن أصحاب القرار السياسي بعد مرحلة الاستقلال، عدم تدريس الانثروبولوجيا في الجامعات الجزائرية باعتبارها "علماً استعمارياً"وأن الانثروبولوجيين الفرنسيين الذين صاحبوا الحملة الاستعمارية ساهموا بدراساتهم للمجتمع والثقافة الجزائريين في عملية الاستعمار وسهّلوها. قررت الحكومة الجزائرية عدم تدريس الأنثروبولوجيا إذاً، وعدم الاعتراف بها والعمل على إقصائها من دائرة المعارف الاجتماعية والإنسانية. بل وصل الأمر إلى نعت كل باحث مهتم بهذا العلم بأنه من أتباع الايديولوجيا الكولونيالية. واستمر هذا الوضع مدة من الزمن واستمر معه نضال بعض الباحثين المهتمين بالانثروبولوجيا، إلى غاية الثمانينيات، مع ما بدأ يعرفه المجتمع الجزائري من حراك سياسي وثقافي جديد، فشهدت هذه المرحلة عودة الأنثروبولوجيا إلى الواجهة بطريقة خجولة. ولكن إصرار الباحثين أعطى لهذا العلم المكانة الأساسية واللائقة به، ليعود كفرع معرفي قائم بذاته حيث أُدرج في بعض الجامعات كتخصص أساسي، مثل جامعة تلمسان، حيث فُتح لأول مرة في تاريخ الجزائر معهد وطني يتكفل بدراسة التراث الشعبي وتدريس الأنثروبولوجيا، هو "المعهد الوطني للتعليم العالي للثقافة الشعبية" وكان ذلك في العام 1984. كما عرفت بعض المراكز البحثية نشاطا انثروبولوجيا مميزا، مثل "المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية" بوهران، و "المركز الوطني للبحث في ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا" بالجزائر. ومهما يكن من أمر المعارك أو الاتهامات، عادت الأنثروبولوجيا وعاد معها التكوين الأصيل للباحثين الذين تكفلوا بموضوع الثقافة والمجتمع الجزائريين والإنسان الجزائري وثقافته المادية والمعنوية والسلوكية. كما عاد أصحاب القرار الى الوعي المعرفي والسياسي بأن الأنثروبولوجيا كاختصاص معرفي، يساهم في التنمية وفي المعرفة، وفي تكفل الإنسان الجزائري بعدد من قضاياه الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعقائدية[2].

---

[1] محمد سعيدي، **الأنتربولوجيا و التراث الشعبي في الجزائر**، مرجع سابق، ص 76.

[2] عبد الله حمودي، **في إعادة صياغة الأنتربولوجيا**، سلسلة محاضراتمركز الدكتوراه الإنسان و المجال في العالم المتوسطي، رقم 4، منشورات الأداب، بيروت، 2010، ص 110.

سوء الفهم للمعرفة الأنتربولوجية مجرد مادة للمتاحف:

ولعل من ضمن العوامل التي عززت أيضا هدا التوجه الرافض للأنتربولوجيا هو تلك الأحكام المسبقة وغير الصائبة التي بنيت على سوء الفهم للمعرفة الأنتربولوجية،من حيث المحاور و المواضيع التي تدخل ضمن نطاق حقل اشتغال هذه الأخيرة، و من ضمن جوانب سوء الفهم المتعلقة بالمعرفة الأنتربولوجية ذلك الإعتقاد السائد لذى شريحة واسعة من أفراد المجتمع بما فيهم فئات المتعلميين بان الأنتربولوجيا إنا تهتم بموضوعات مبتذلة و متجاوزة كالقبيلة و السلالة و العرف و التراث الشعبي و ما سمي بالفولكلور[1].

فوصفت مواضيع هذا العلم بالضعف والسذاجة وقيل فيه إنه غير جدير بالاهتمام والدراسة وفاقد للفكر العلم و لاشك أن هذه المفاهيم الخاطئة و المشوهة التي ظلت تلازم الأنتربولوجيا في البنيات الفكرية العربية بشكل عام و في الجزائر أيضا تعد أحد أهم الأسباب التي أعاقت عملية إندراج المعرفة الأنتربولوجية ضمن حيز الممارسة الاكاديمية و اعطاءها المكانة التي تليق بها كفرع علمي معرفي، ة التي أدت إلى تشكيل قناعة لدى الماسكيين بزمام الأمور الأكاديمية بعد الإستقلال، بعدم جدوى إعتماد المعرفة الأنتربولوجية صمن الفضاء الاكاديمي، لم يعد من المجدي حسب هذا الإعتقاد حاجة لهذا العلم نتيجة التحول

أولويات التنمية:

التركيز على التخصصات التقنية والاقتصادية: بعد الاستقلال، كانت أولويات الدولة الجزائرية متجهة نحو بناء الدولة وتطوير الاقتصاد والقطاعات التقنية والعلمية التي تخدم هذا التوجه. العلوم الاجتماعية والإنسانية، بما فيها الأنثروبولوجيا، لم تحظ بنفس القدر من الاهتمام في البداية.

تأخر اعتماد الانتربولوجيا كتخصص علمي في الجامعات الجزائرية:

من الملاحظات التي تسترعي الإنتباه هو قلة المتخصصين في مجال الأنتربولوجيا نظرا لحداثةَ وقصر المدة الزمنية له، ضمن الممارسة العلمية الأكاديمية داخل الجامعة الجزائرية في إطار بحوث و أعمال أكاديمية منظمة و كذلك على مستوى الدراسات و الأبحاث و المؤلفات الفردية المستقلة في المحيط الثقافي العام خارج الجامعة. ففي البداية كما ذكرنا كانت الأنتربولوجيا في مراكز ثقافية تحت تسميات مختلفة، فالأنتربولوجيا

[1] محمد نجيب بوطالب، **صورة العربي الأخر ناظرا و منظورا إليه**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1990، ص 109.

التي طوردت مند البداية لجأت إلى المراكز البحثية للاحتماء بعلوم ذات علاقة بها، أما عودتها إلى مقاعد الجامعات فهي تعتبر محتشمة، فقد كانت تدرس كمادة فقط في بعض الإختصاصات.

التطورات الحديثة والاعتراف المتزايد:

على الرغم من التأخر النسبي، شهدت الجزائر في السنوات الأخيرة تأسيس أقسام لتدريس الأنثروبولوجيا في بعض الجامعات ومراكز بحثية تهتم بالدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية والثقافية. مع زيادة الاهتمام بالدراسات المحلية، حيث هناك توجه متزايد نحو إجراء دراسات أنثروبولوجية حول المجتمع الجزائري وقضاياه المعاصرة من قبل باحثين جزائريين، مما يساهم في إعطاء هذا التخصص مصداقية وأهمية أكبر.

ختامًا، يمكن القول إن تأخر اعتماد الأنثروبولوجيا كتخصص علمي في الجزائر كان نتيجة لتفاعل عوامل تاريخية وسياسية واجتماعية وأكاديمية معقدة. ومع ذلك، يشهد هذا المجال تطورًا واعترافًا متزايدًا في السنوات الأخيرة مع سعي الباحثين الجزائريين إلى تأسيس أنثروبولوجيا وطنية تعالج قضايا المجتمع الجزائري بمنظور معاصر ومستقل.

الخاتمة:

في ختام حديثنا عن علم الأنثروبولوجيا، يمكننا التأكيد على أنه ليس مجرد فرع أكاديمي يدرس الإنسان وثقافته، بل هو نافذة واسعة تطل بنا على ثراء وتعقيد الوجود البشري في مختلف أشكاله عبر الزمان والمكان..

إن علم الأنثروبولوجيا، بنظرته الشاملة والمتكاملة، يتجاوز الحدود الضيقة للتخصصات الأخرى، ليقدم فهمًا أعمق للتفاعلات المعقدة بين البيولوجيا والثقافة، والفرد والمجتمع، والتاريخ والحاضر. إنه يدعو إلى التفكير النقدي في المفاهيم المسبقة والتحيزات الثقافية، والبحث على تقدير واحترام الاختلاف والتنوع الإنساني.

في عالم يزداد ترابطًا وتعقيدًا، تزداد أهمية الأنثروبولوجيا في معالجة القضايا العالمية الملحة مثل العولمة، والتنمية المستدامة، وحقوق الإنسان، والصراعات الثقافية. فالفهم العميق للثقافات المختلفة، والذي يوفره علم الأنثروبولوجيا، هو مفتاح أساسي لبناء جسور التواصل والتفاهم والتعاون بين الشعوب.

ختامًا، يمكن القول إن علم الأنثروبولوجيا يظل سعيًا مستمرًا للمعرفة والفهم، ورحلة استكشافية لا تنتهي في عوالم الثقافة الإنسانية المتغيرة والمتجددة باستمرار. إنه دعوة دائمة للتساؤل والتعلم والانفتاح على الآخر، وهو ما يجعله علمًا حيويًا ومهمًا

قائمة المراجع:

1. ابراهيم الساعدي: ما هي الأنثروبولوجيا؟ نشأتها...أقسامها...وعلاقتها بالعلوم الأخرى، تمت زيارة الموقع بتاريخ 11_09_2022، على الرابط: https://www.wata.cc>index.php :
2. إبن بطوطة أبو عبد الله، رحلة إبن بطوطة. دار التراث، بيروت، 1968.
3. أبو عمران، منهجية البحث في الأنثروبولوجي، تمت زيارة الموقع بتاريخ / 2022/11/12، على الرابطhttps://sociologie.forumperso.com
4. أحمد الخشاب، دراسات انتروبولوجية، دار المعارف، مصر، 1970.
5. آنجرس موريس: منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية (تدريبات علمية)، ترجمة: صحراوي بوزيد وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.
6. أوراغي أحمد، الأنثروبولوجيا والإستعمار – قراءة في صورة الجزائرية في المؤلفات الأنثروبولوجية الإستعمارية" ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، المجلد 05 ،العدد 02 ، الجزائر، 2012.
7. بلقاسم بن زنين، الجزائر في الفكر الأنتربولوجي، رسالة ماجستير في الأنتربولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الأدابو العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان،2000-2001.
8. بن عيسى، عبد القادر، حول الأنثروبولوجيا في الجزائر: قراءة في الواقع والتحديات، مجلة الباحث للدراسات الإنسانية والاجتماعية،العدد 5، 2015.
9. بوحسون، العربي، الأنتروبولوجيا من علم الاستعمار إلى علم التنمية: قراءة في مسار التأسيس والتأخر في الجزائر. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة قاصدي مرباح – ورقلة، 2012.
10. بيار أرني، إثنولوجيا التربية، ترجمة عدنان الأمين، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1992.
11. توينبي آرنولد، تاريخ البشرية، ترجمة زيادة نيكولا، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981.
12. جمال معتوق، لمحة عن الممارسة في الجزائر، حالة معهد علم الإجتماع بالعاصمة، مجلة الدفاتر الجزائرية لعلم الإجتماع، العدد1، دار الحكمة، الجزائر،2000.
13. جمال معتوق، واقع و أفاق علم الإجتماع في المغرب العربي، الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة، قسم علم الإجتماع، الجزائر، 2000.

14. جيرار لكلرك، الأنتربولوجيا و الإستعمار، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1990.
15. حسين شحاتة سعفان، علم الإنسان الأنتربولوجيا، منشورات مكتبة العرفان، بيروت، 1966.
16. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأنتروبولوجيا في المجال النظري. ط1، الإسكندرية، مصر
17. حسين فهيم، قصة الانتروبولوجيا. سلسلة عالم المعرفة، عدد 198، الكويت، 1986.
18. الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، بحث في الأصول و المبادئ و التطبيقات، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001.
19. ستراوس كلود ليفي: الإناسة البنيانية ، ترجمة قبسي حسن، نشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 1995.
20. سفيان ميمون، قراءة في الإتجاهات والنظريات الأساسية في الأنثروبولوجيا، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، تمت زيارة الموقع بتاريخ :2022/11/13، على الرابط: https://www.politics-dz.com
21. شريهان حوامدة، مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها وأهميتها، هوقع إي عربي، تمت زيارة الموقع بتاريخ 10_ 12_2023 على الرابط:https://e3arabi.com>sociology
22. عبد الله حمودي، في إعادة صياغة الأنتربولوجيا، سلسلة محاضراتمركز الدكتوراه الإنسان و المجال في العالم المتوسطي رقم 4، منشورات الأداب، بيروت، 2010.
23. عبد الله عبد الغني غانم، طرق البحث الأنتربولوجي، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، مصر، 2004.
24. عثمان لكعشمي، من أجل أنثروبولوجيا جديدة لعالم جديد، مجلة الفيصل، العدد 509 ،الرياض، 2019.
25. عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الأنثروبولوجيا علم الإنسان، مكتبة العبيكات، الرياض، 2001.
26. عزلز الطاهر، محاضرات في مقياس الأنتروبولوجيا الإحتماعية والثقافية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر، 2019.
27. علي الحاج، مناهج البحث الأنثروبولوجية ، موقع أنتروبوس، تمت زيارة الموقع بتاريخ /13_01_2025، على الرابط:https://www.aranthropos.com

28. عمار يزلي، الجزائر و الانتربولوجيا،المناهج و الموضوعات، ورقة بحث مقدمة ضمن أشغال الملتقى الوطني حول علم الإجتماع و المجتمع الجزائري، تحرير عبد القادر لقجع،دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

29. عيسى السماش، مدخل إلى علم الإنسان الأنتربولوجيا، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

30. غفور عبد الباقي،مقياس أنتربولوجيا الجزائر، محاضرات موجهة لطلبة السنة ليسانس تخصص أنتربوبولوجيا ثقافية و اجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2021-2022.

31. فتحية محمد إبراهيم: مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، دار المريخ، الرياض، السعودية،1985.

32. فرح الحسين: النظرية المادية الثقافية في الأنثروبولوجيا، تمت زيارة الموقع بتاريخ : 2023/12/01 ،على الرابط:https://www.elakademiapost.com

33. فريديريك بارث وآخرون، الأنثروبولوجيا حقل علمي وأربع مدارس، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر وايمان الوكيلي، المركز العربي لألبحاث ودراسة السياسات، قطر،2017.

34. كوبان جان: المسح الإتنولوجي الميداني، ترجمة لاوند جهيدة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان 2007.

35. كيروزيل إديث، عصر البنيوية من ليفي ستروس إلى فوكو، ترجمة جابر عصفور، قرطبة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

36. محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنتروبولوجيا. القاهرة، مصر، 2003.

37. محمد براهيم صالحي، الأنتربولوجيا و الأنتربولوجيا الدينية في الجزائر، عناصر من أجل حوصلة معارف، ورقة بحث مقدمة ضمن أشغال الملتقى الدولي حول مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، تحرير ساري حنفي و اخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2014.

38. محمد براهيم صالحي، الأنتربولوجيا و الأنتربولوجيا الدينية في الجزائر، عناصر من أجل حوصلة معارف، ورقة بحث مقدمة ضمن أشغال الملتقى الدولي حول أي مستقبل للأنتربولوجيا في الجزائر ، المركز الوطني للبحث في الانتربولوجيا الاجتماعية و الثقافية، الجزائر، 2014

39. محمد سعيدي، الأنتربولوجيا و التراث الشعبي في الجزائر، تاريخ و مسارات، 2015 ، على الموقع، JADALYAذ

40. محمد مؤنس، الحضارة– دراسة في أصول وعوامل قيامها. عالم المعرفة، عدد كانون الثاني، الكويت، 2002.
41. محمد نجيب بوطالب، صورة العربي الأخر ناظرا و منظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1990.
42. مختار رحاب، "مناهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي "، مجمة الأداب والعلوم الإجتماعية، المجلد 11 ، العدد02،2022.
43. منصور، مرقومة، الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية الحديثة، المجلد 4، العدد 8، مجلة التدوين، الجزائر، 2016 .
44. مولاي الحاج مراد، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنتربولوجية، واقع الملتقى الدولي: أي مستقبل للأنتربولوجيا في الجزائر المنعقد بتيميمون أيام 22،23،24نوفمبر 1999، تنسيق الأستاذ نذير معروف، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنتربولوجيا الإجتماعية و الثقافية، وهران، 2002.
45. نور الدين كوسة، إشكالية المصطلح في الدراسات الأنتربولوجية، رصد للتمظهرات و مساءلة في علل الإضراب، التجربة الجزائرية نموذجا، مجلة العلوم الإجتماعية، العدد 16، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2012.
46. النوري قيس، فرص الأنتربولوجيا في حركة التطور العربي، مجلة البحرين الثقافية، العدد 27، البحرين، يناير 2001.

المراجع باللغة اللاتينية:

1. ABELÈS M, Anthropologie et marxisme, Paris, Éditions Complexe, PUF, 1976.
2. ADDI, L., Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu. Le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théoriques, Paris, La Découverte, 2002.
3. A. Hovelacque : Ethnologie et Ethnographie, Bulletins et Memoires de la
4. Societe d'Anthropologie de Paris, France, 1979.
5. Abderrahman Moussaoui, « La pratique de l'anthropologie en Algérie »
6. Bernard, H. Russell. 2017. Research Methods in Anthropology: Qualitative and Quantitative Approaches. 6th ed. Lanham, MD: Rowman & Littlefield.
7. BALANDIER G, Sociologie actuelle de l'Afrique Noire, Paris, PUF, 1955.
8. BELHACHEMI F, Nouvelle interprétation du processus du peuplement dans le massif du Hoggar à partir des géographes arabes, Revue de géographie alpine, vol. LXXXIX, n° 1, juin 1991, numéro spécial Montagnes du Sahara.
9. BOURDIEU, P, Travail et travailleurs en Algérie, Paris, La Haye, Mouton & Co, 1964.
10. Bernard, H. Russell. Research Methods in Anthropology: Qualitative and Quantitative Approaches. 6th ed. Lanham, MD: Rowman & Littlefield.2017 .
11. Britta Rupp-Eisenreich: Histoires de l'anthropologie: XVIe-XIXe siècle, Colloque La Pratique de l'anthropologie aujourd'hui, 19-21 Novembre, 1981.
12. COPANS J., Anthropologie et impérialisme, Paris, Maspero, 1975.
13. DENYS CUCHE, LA NOTION DE CULTURE DNS LES SCIENCES SOCIALES, Casbah edition , Alger,1998.
14. Daumas Eugène , Le Sahara algérien études géographiques ethistoriques sur la région au sud des établissements français en Algérie, Paris, Langlois et Leclercq, 1845
15. Emerson, Robert M., Rachel I. Fretz, and Linda L. Shaw Writing Ethnographic Fieldnotes. 2nd ed. Chicago: University of Chicago Pres, 2011.
16. Gérard Van't Spijker : Anthropologie et missiologie XIXe- XXe siècles Entre connivence et rivalité, Edition KARTHALA, Paris, 2003.
17. GEERTZ, C, The Interpretation of Cultures, New York, Basic Books, 1973.

18. Geertz, Clifford. "Thick Description: Toward an Interpretive Theory of Culture." In The Interpretation of Cultures, 3-30. New York: Basic Books.),1973.
19. GODELIER M, Rationalité et irrationalité en économie, collection « Économie et Socialisme », Paris, Maspero, 1966.
20. Germaine Tillon , la harem et les cousins, edition du seuil, Paris,1966.
21. Germaine Tillion: «Il était une fois l'ethnographie», Éditions du Seuil, 2000.
22. GURVITCH G, Dialectique et Sociologie, collection Champs, Paris, Flammarion, 1962.
23. Hastrup, Kirsten. Getting It Right: A Social Scientist's Guide to Fieldwork. London: Pluto Press.), 2004 .
24. John anderson ,conjiuring withe Ibn khaldon:from an anthropological point of view,leiden,1984
25. LÉVI-STRAUSS C, Tristes Tropiques, collection « Terre Humaine », Paris, Plon, 1955.
26. Pierre Bourdieu : « Sociologie de l'algérie », 3eme édition mise a jour, colliction « que sais-je ? » N°802, Presses universitaires de France, Paris-France, 1970.
27. Robert Deliége : Une histoire de l'anthropologie : écoles ; auteurs ;théories, édition Seuil, France, 2006.
28. Said, Edward W. Orientalism. New York: Pantheon Books, 1978.
29. Spradley, James P. The Ethnographic Interview. New York: Holt, Rinehart and Winsto,1979.
30. Therese Riviere . « L'Habitation Chez les Ouled Abderrahman Chaouia de l'Aures », AFRICA: JOURNAL OF THE INTERNATIONAL AFRICAN INSTITUTE, Vol. 11, No. 3 (Jul., 1938).
31. wendell. Oswalt, other peopel, other customs. holt rimilart and wiston, 1972.
32. Michel Leiris, Cinq études d'Anthropologie, Paris: gauthier, 1969.
33. Tremblay Marc-Adélar, Anthropologie, Un article publié dans L'encyclopédie du Canada. tome I, A-E. Montréal: Les Éditions internationales Alain Stanké. Michel Leiris, Cinq études d'Anthropologie, Paris: gauthier, 1969.
34. Tremblay Marc-Adélard)1987(, Anthropologie, Un article publié dans L'encyclopédie du Canada. tome I, A-E. Montréal: Les Éditionsinternationales Alain Stanké.
35. Russ Jaqueline , Dictionnaire de philosophie, Paris: Bordas. 2004 .